

فِي بِلَادِ الْخَلِيفَةِ
رَوَايَةُ

اسم الكتاب: في بلاط الخليفة

تأليف: محمد إبراهيم

تصحيح لغوي: عزة أبو الأنوار

رقم الإيداع: 2014/19844

الترقيم الدولي: 4-69-6376-977-978



إشراف عام:

محمد جميل صبري

نيفين التهامي

دار كيان للنشر والتوزيع - 22 ش الشهيد الحي بجوار مترو ضواحي الجيزة - الهرم

محمول: 01005248794 - 01001872290 - أرضي: 0235688678

www.kayanpublishing.com - info@kayanpublishing.com

kayanpub@gmail.com

© جميع الحقوق محفوظة، وأي اقتباس أو إعادة طبع أو نشر في أي صورة كانت ورقية أو إلكترونية أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذن كتابي من الناشر، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

فِي بِلَادِ الْخَلِيفَةِ

مَلِكِ إِبْرَاهِيمَ

رَوَاةُ

obeikandi.com

إهداء

إلى أبي الذي لم يحرمني شيئًا إلا حلمًا قديمًا بأن أكون أفضل
أب في الكون ؛ استأثر به إذ صار هو

إلى أمي التي اصطحبتني إلى عالم الأدب السحري بمجموعة
قصص مصورة قرأتها علي مسامعي يوم كنت طفلًا فأصبحت
"أنا"

إلى أختي "منار بيتنا" و إلى أخي "آخر العنقود"
إلى طيفٍ نقي يجتاح الدروب فيأسر الأبواب بصفائه
إليهم جميعًا أهدي كلماتي .

obeikandi.com

شكرًا

- عظيم الشكر و العرفان و التقدير إلى روح الراحل الذي لا زال يحيا بيننا بإبداعاته تتصدرها ملحمة الإسلامية الكبرى التي أضافت لي و لهذا العمل الكثير الرائع "علي أحمد باكثير"

- إلى من أثر بكلماتي و فكري كما لم يؤثر أحد العبقرى "د. أحمد خالد توفيق"

- و إلى من اختصني بشرف تأطير روايتى بكلماته "أ.د بكر ذكى"

- و إلى من شجعني أن أمضى في عالم الأدب "الشاعر: أسامة عامر"

- إلى معلمي و أستاذي "د. وليد عبد المنعم"

- و إلى الأزهرى -كما ينبغى للأزهري أن يكون- "د. مصطفى أبو زيد"

- إلي صناع كيان " محمد جميل و نيفين التهامي " علي ما منحاه لهذا العمل من دعم و تقدير

- إلى تلك العلامات الفارقة بحياتي خالص الشكر ، و إليك أيضًا يا من تقرأ كلماتي .

obeikandi.com

توطئة

سبحان من فتق ذهن هذا الفتى عن هذه الكلمات، وطيب الجمل والعبارات، فوهبه القدرة على صياغة تاريخ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب صياغة أدبية، جمع الكاتب القصة فأوعى، وعبر، فكان في تعبيره عبرة، أحسن النظم، بعد شد العزم، وجَمَل الجمل بالخيال الساحر، وليس فيما كتب أي من الإساف، بل جمع حبات الدرر، وضم من الشوارد ما انتثر، ونظم العقد كأفضل ما يكون الصائغ، وجرت المعاني في الألفاظ جريان الماء في الدقائق، حسنت عنده العبارات والتراكيب وازدانت بإيراده بكثير من الأعاجيب، دل إيجازه على إعجازه، وقيد شوارد الوقائع بحس بارع، عاش مع التاريخ ستين عامًا أو يزيد، وليس وراء ما كتب مزيد، طاف في بساتين المعرفة، ووقع على كثير من الزهر وأفنى في هذا كثيرًا من العمر، ليقدم لقائه شهيدًا رائقًا، قلّ كلامه وكثرت معانيه، لا تلبث بعد الفراغ من القراءة أن تعود إلى البداية، لأن البداية في الدوائر هي النهاية، والنهاية هي البداية.

ومما يكسب الموضوع قوة، ويحمل على قراءته بكل قوة، أنه عالج سيرة من خير السير، وحصد من الوقائع العظات والعبر، ورزق عند المعالجة الكثير من جديد الفكر، وكم من صغير في سنه كبير في عقله! وكم من طاعن في السن قد

سلب نعمة العقل! وقد وقى الله الكاتب من زلات العقول،
وسقم الأفهام، وألهمه حسن التعبير وطيب الكلام، فكانت
هذه البداية التي تبشر بخير، وما هي إلا تباشير الصباح،
وعما قريب نرى الفجر لاح، ومع إشراقة الشمس يكون
الإيضاح.

فسر، أيها الكاتب، على مهل، واحرص على عدم العجل،
ولا تكف عن الكتابة بدعوى الوجل، فغداً ستُطلب بعد
أن كنت طالباً، وتُقصد بعد أن كنت قاصداً، وأبشر بغدٍ
مشرق، فأول الغيث قطرة ثم ينهمر، وفيك وفي أمثالك
كبير الأمل. حفظك الله ورعاك وسدد على طريق الخير
خطاك والسلام.

أ.د بكر زكي عوض

عميد كلية أصول الدين بالقاهرة

افتتاحية

”اللهم نصرًا كنصر اليرموك“، يرددها قلبه خاشعًا وقد قلب بصره في الطريق، علّه يجد طيفًا حاملًا بشرى النصر، بشرى قد وجد ريحها وينتظر خبرها.

تراه يتحين القادم من أرض القادسية، وكأنما هو آخر أمله في الحياة، يلهج إلى الله بدعاء فريد وعين خاشعة، سائلًا النصر طوال ليله ويتأمل الصحراء وقد ألهبه شعاع الشمس ولفحه القيظ في يوم عسير.. جد عسير.

كل صباح تبصره هناك لا يلوي على أحد ولا يعنيه في شيء ما لاقاه من عنت.

إلى أن رآه من بعيد، فارسًا قد انطلق جواده في زهو لا يحمله إلا منتصر، وبشرى تكاد ملامح وجهه تزفها جلية واضحة كشمس مزهّوة في صباح جميل، ولكن كلمة ينطقها فمه هي أقصى أمله ومبلغ غايته.

- هل لك أيها الشيخ أن تخبرني أين أجد أمير المؤمنين؟

- بريك! ماذا فعل المسلمون في القادسية؟

يستقبل خبر النصر، فيكاد قلبه ينبض بكلمات الحمد والشكر لله على نعمائه، ويصطحب صاحب البشرى إلى حيث التف حوله الناس، مرددين همهمات تجلّى بعدها للفارس

شأن الرجل، فتراه ترّجل يراقب ذاك الذي اكتسى برداء ملأته
الرقع، ذاك الذي دحرت جيوشه جند فارس وأذاقت الروم
الويلات، فلقد أدرك الفارس لوهلة أنه في المكان الذي قلب
موازين الدنيا وغيّر نواميس الكون.
إنه في البلاط.. في بلاط الخليفة!

امتدت صحراء جزيرة العرب مترامية الأطراف وقد تلالأت
رمالها الذهبية تحت ضوء الشمس، وبينما ازدانت مكة بثوب
جديد استعداداً لموسم الحج، إذا بالوفود قد ولّت وجهها
شطر سوق عكاظ على بُعد خطوات منها، لتعرض بضائعها
وتفاخر بشعرائها.

ولكن على الرغم من الهدوء الظاهري الذي لفّ أيام
السوق الأولى، فإن الدلائل أكدت أن السوق ستجيء مختلفة
هذا العام، فها قد بدأ صراع خفي بين المسلمين من
جهة، وزعماء قريش من جهة أخرى، ووضح جلياً أن الصراع
سينحو نحواً مختلفاً هذا العام بالتحديد.

فالمسلمون لن يتركوا فرصة كهذه لنشر دعوتهم، حيث
اجتماع القاضي والداني، وزعماء قريش لن يجازفوا بتركهم
يصولون ويجولون بحرية لنشر الدين. ووسط هذه الأجواء
المشتعلة لم يكن الحديث بين فتیان قريش لينأى كثيراً عن
هذا الموضوع، موضوع شغل مكة كلها.. بل العرب جميعاً.

تعالَت الأصوات والصيحات في تلك البقعة المزدحمة من سوق عكاظ، بينما تعلقت الأعين ببعض الشبان.. هؤلاء الذين تباروا في إبراز قواهم في صراعهم المحموم، وفي موقع بارز ضم عليه القوم، جلس ذلك الشيخ الوقور الذي ارتسمت على وجهه حكمة السنين، بينما مال نحو ذلك الضخم بجواره وهو يقول برزانة:

- أرى أن ليس للمصارعة معنى هذا العام.. ألا توافقني الرأي يا أبا الحكم؟

فطن أبو جهل لما رمى إليه الشيخ، فابتسم ليقول بمكر:

- وما الذي ينقصها يا عديّ؟ ألا يعجبك ذلك البدوي؟! أشار بإصبعه إلى ذلك البدوي، الذي علا نجمه هذا العام، بينما التفت بعينه ليرى رد فعل عدي، الذي قال بهدوء:

- ماكر كعادتك يا عمرو، وهل يغني ذلك البدوي عن عمر؟ لكم يدهشني ذلك الفتى!

نظر إليه عمرو بن هشام، ليرد باستخفاف حاول ألا يبيديه:

- ومن لم يعجب بعمير وبقوته في قريش كلها؟!

تجاهل عدي أسلوبه ليقول بدهاء واضح:

- إذن، فلك الفخر كل الفخر به.

ثم التفت ليرى نظرات الغضب في عيني عمرو قبل أن يعقّب قائلاً:

- صدقني يا عمرو، إن فخرك به لا يقل أبدًا عن فخره
بخاله أبا الحكم بن هشام، سيد قريش.

راق ذلك الإطراء الأخير لأبي جهل، وإن شابه ذم واضح،
لكنه تكفل بإرضاء عمرو، الذي تنهّد في ارتياح وغبطة، تاركًا
عُدي يجول ببصره بين الشبان، ولكن فكره أبدًا لم ينشغل
بهم، بل بذلك الذي شغل العقول والألباب، عمر.. عمر
بن الخطاب.

مكة كعادتها أيام سوق عكاظ تستعد لأضيافها القادمين
بعد أيام، وسوق عكاظ كذلك لا تتغير، بل تزداد
ازدهارًا وبريقًا، فتضج بروادها نهارًا وتكتظ بالسمر ليلاً.
فكما يتشاور الزعماء ممن خبروا أمور السياسة وفنون الكلام
في أمور مكة، جلس خالد وعمرو وسعيد في أحد أسمارهم،
وقد بدا الغضب على محيا خالد، الذي صرخ قائلاً
- لكم أبغض محمدًا هذا! لقد سفه كل شيء؛ ليت أمره
ينتهي.

رمقه عمرو بنظرة هازئة، وهو يقول بعث

- ينتهي.. ست سنوات منذ أن بدأت المشكلة الكبرى ومن
يومها ومحمد يزداد قوة...

قاطعہ خالد غاضبًا: أي قوة تلك في أقل من أربعين رجلًا؟!
أجننت يا ابن العاص؟!

- لا تخدع نفسك يا خالد، أنت تعلم مثلي أن أمر محمد هذا ليس أمرًا عاديًا، ألا ترى أتباعه ينقادون له ويسلمون له أمرهم؟! لو انتشر هذا الأمر حقًا، لضاعت مكانتنا بين العرب.

قالها عمرو بهدوء، قبل أن يعقب سعيد قائلاً:
- مهلاً مهلاً يا رفاق، لقد قتلنا هذا الأمر بحثً؛ دعونا الآن نسأل:

- أين ذهب عمر؟
التفت إليه خالد ليقول بمرح:

- عمر.. أين ذهب ذلك المخادع؟ لقد اختفى قبل بدء السوق.. أما سمعتم شيئاً عن هذا الاختفاء المفاجئ؟
رأى عمرو في الأمر متنفساً مرحاً، فقال ضاحكاً:

- أراه قد علم بذلك البدوي، ففر هارباً و...
لم يكذ يكمل جملته حتى شعر بكف غليظة ربتت على كتفه، فنظر إلى ذلك الذي وقف خلفه بطوله الفارع وجسده الضخم ورأسه الأصلع.

- عمر.. أين كنت؟
قالها عمرو وهو يتفحصه وما عليه من أثر التعب، ليجيبه
بقوله:

- لقد كنت أمارس إحدى مهام عملي في السفارة.. ولم أكن هاربًا
يا ابن العاص.

التفت إلى عمرو باسمًا، قبل أن يتابع:

- ثم من هذا البدوي الذي كنت تتحدث عنه يا عمرو؟
تأمله سعيد وهو يقول بهدوء:

- دعك من هذا الآن، ولتجلس لتقص علينا أين كنت وماذا
فعلت.

وقد كان عمر بالفعل ينتظر مثل هذه المقولة، فألقى بجسده
على أقرب مجلس وبدأ يقص الأمر.. ومن البداية.

مضت الأيام سراعًا وانقضت سوق عكاظ، وعلى الرغم
مما شابها من أحداث ومن أنها جاءت مختلفة هذا العام،
لكن أحدًا لم يكن ليتوقع أن تنتهي نهاية كتلك التي كانت.
فها هي مكة تودّع أضيافها ما عدا من بقي منهم للحج،
وقليل ما هم. وفي هذه الأثناء سار ذلك الشيخ الوقور
الذي لفحته شمس الصحراء بالحكمة واصطنعته رمالها
بالبصيرة، يمضي بخطوات هادئة ورصينة نحو دار الندوة،
ليلقى رفاق الشيخوخة، وإذا بهذا الراعي يستوقفه ليقول
بحماسة غامرة:

- أتعرف ذلك الفتى الذي كان يصارع بالأمس يا سيدي عدي؟

لفتت عبارته انتباه عدي، الذي نظر ليقول باهتمام واضح:
- أتقصد عمر؟ ماذا حدث له؟

أدرك الراعي أن الشيخ لا يعرف بالأمر، فدفعه ذلك لأن
يتابع بحماسة:

- لقد ألقى بمكة في طوفان من الحيرة والشك؛ لقد أسلم
عمر!

وعلى الرغم مما حمله القول من أثر بالغ على الشيخ،
فإنه لم يبدِ ذلك على قسَمات وجهه ولم يزد أن أرسل
بصره إلى السماء وهو يقول بهدوء:
- أما والله ليوسعنهم خيرًا، أو ليوسعنهم شرًا.

- ما لهذه الأيام العجاف التي نمر بها! ما لنا نتراجع
يومًا بعد يوم.. ومحمد يزداد قوة وبأسًا! فبالأمس حمزة،
واليوم عمر، ومن قبل ابن أبي قحافة، وعثمان، وسعيد بن
زيد.. وغيرهم الكثير والكثير.. آه.. إن رأسي سينفجر.. ماذا
أفعل الآن؟ مجدنا قارب على الزوال.. شمسنا ستغرب عن
العرب.. شمس مكة التي طالما أضاءت السبيل ستأفل عن
العرب، وكل هذا بسبب رجل! أي رجل؟! محمد هذا ليس
رجلاً عاديًا.. فلتغننا الآلهة!

آلهة؟! لقد بدأت أشك في كل شيء.. ويحك يا خالد! لا
تراجع.. اثبت ودافع عن المجد.. مجدنا ومجد قريش و...
- كنت أعرف أنني سأجذك هنا.

انتزعت الجملة الأخيرة خالد من فكره، لينظر إلى القادم
الذي لم يكن سوى عمر.

- تجدني هنا! أهلاً بالصائب.

- أهلاً بالغافل.

- ماذا دهاك؟!

- بل قل ماذا هداك!

- هداك؟! لقد حطمت بحماقتك كل شيء.

- بل أدركت كل شيء.

- كفاك يا عمر.. ارجع.

- بل سأتابع الحق.. لقد تجلّت الحقائق يا خالد.. ثم ما
لي أراك غاضباً؟! (مبتسمًا) ما أراك إلا متبعًا ما اتبعت!

- أأتبعك في ضلالك؟

- بل في طريق الهدى والنور.. عندما تزول الستائر عن
البصائر سترى الحق حقًا.

- أرى هدوءًا وسكينة لم أعتدها منك، هل خار عزمك
وذهبت قوتك؟

- إنه الإسلام يا خالد، عمر الأمس هو عمر اليوم، لكنه

الإسلام هو من أحسن توظيف شدي وليني.. أشعر بالنور
ينبت في قلبي ويضيء نفسي.. لقد وصلت للحق يا خالد
ولن أحيده، ولو وقف في طريقي العرب جميعاً، ولو
حتى كسرى وقيصر. لقد خرجت شعلة النور من أعماق
الظلمة ولن تنطفئ أبداً.

قالها ثم انصرف تاركاً خالد في ظلمات الحيرة وقد أظلمت
الدنيا أمامه.. تماماً.

لم يكن حدث كإسلام عمر ليمر بهذه السهولة، هو نفسه لم يرضخ لعقله وقلبه إلا بعد جهاد طويل، يتشجع مرة ويحجم مرات. حتى كانت هذه الليلة التي بدا فيها القمر مكتملاً مضيئاً على السماء سحراً وبريقاً، في حين جلس عمر يتأمل لبرهة، ثم ألقى بعدها نظرة على هذا الوثن، الذي أضفت عليه انعكاسات المصباح شعوراً بالرهبة ولم يلبث عمر أن نظر مرة أخرى إلى القمر وظل كذلك حتى قارب الفجر.

وإن بدا هادئاً، إلا أن صراعاً عنيفاً كان قد اعتمل في عقله الذي ردد بصوت هادئ، وإن أبى لسانه النطق به:

- شتان بين هذا وذاك.. إله في الأرض وآخر في السماء! هذا نوره النار وذاك نوره نور السماوات والأرض.

بينما انبعث من عقله صوت انساب عميقاً وتردد في نفسه:

- كلا.. الأمر ليس كذلك يا عمر.. بل أحدهما الحق والآخر الباطل.. يا إلهي! يكاد عقلي يجن. لم تهرب من الحقيقة يا عمر؟! كلا لن أؤمن لمحمد.. بل.. لا أدري.

اتجه بخطوات هادئة -لا تدل على ما بصدرة- نحو

المصباح ليطفئه، ثم نظر نظرة ذات معنى إلى القمر الذي
توسّط السماء، وقد علت الحيرة نفسه، بينما كانت ملامح
وجهه كتمثال قُدّ من صخر أبت أن تشي بما يدور في عقله.
لفت انتباهه الصوت الهادئ للنبي -صلى الله عليه وسلم-
وهو يتلو القرآن. وبلا إرادة تامة، استتر بساتر كي لا يزعجه
وبدا يستمع.

- ويحك يا عمر، أجننت؟! ما هذا الذي تسمعه؟

- «إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ».

انتفض كعصفور مبتل وهو يتراجع خطوة:

- كلا.. هذا.. هذا قول شاعر.

- «وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ».

تراجع خطوة أخرى وقد اختلفت مشاعره:

- إذن فهو كاهن.. ما محمد إلا كاهن.

- «وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ».

تراجع ثالثة وقد ظهر على محياه ملامح الدهشة: ما هذا
إذن؟!

- «تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

بدا في هذه اللحظة كجماد من فرط الدهول والقرآن
الكريم ينساب إلى أذنيه وتوقفت للحظة المشاعر المتناقضة،
والرسول يتلو في هدوء وقوة:

- «وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ *
 ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ *
 وَإِنَّهُ لَتَذِكْرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ * وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ * وَإِنَّهُ
 لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ * وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ
 الْعَظِيمِ *».

زلزال ذلك الذي هز عمر وجعله يتراجع عشرات الخطوات
 وشعر بدموع عينيه تغادر محجريهما، ولكنه حاول باستماتة
 أن يتماسك وينصرف، إلا أنه -بلا وعي- انتظر حتى خرج
 الرسول، صلى الله عليه وسلم.

- ها هو محمد وعن قرب هذه المرة.

انتظر من الوقت ما لا يعلمه إلا الله حتى رآه خارجًا، لم
 ينتبه له الرسول -صلى الله عليه وسلم- فسار بخطى هادئة
 ومن ورائه عمر، أحس النبي -صلى الله عليه وسلم- فالتفت
 وقد بدت الدهشة على محياه وهو يتطلع إلى وجهه، قبل
 أن يقول:

- عمر! أفلا تتركني لأرتاح ليلاً أو نهارًا؟

أحس عمر بالخجل من نفسه، وهو يري النبي -صلى الله
 عليه وسلم- يمضي ثانية، فتأمله وهو يقول في طي نفسه:
 - ما حملك يا محمد على هذا؟ ما حملك على عداوة
 قومك؟!

شعر بدموع تنساب من عينيه، فحاول أن يتماسك ثانية،
 ولوهلة تحوّلت ملامح وجهه إلى الحزم والصرامة وهو يتابع:

- قسمًا بإلهي، أينما كان، وكيف كان، إن لم يهديني ربك يا محمد إليه لأقتلنك.

قالها وهو يعلم في قرارة نفسه أنه لن يتراجع.. أبدًا.

داعبت الأشعة الذهبية لضوء الشمس ملامحه، فانتبه من نومه ليلتفت حوله بدهشة.. لم يدرك كيف ولا متي استسلم للنوم. إلا أن كل هذه الأسئلة زالت ولم يبق في ذهنه سوى ما عزم عليه بالأمس.

كل شيء على ما يرام إذن، سيفه مستعد لينهي الأمر برمته، خطواته راسخة ثابتة لن تلين هذه المرة.

- بنو هاشم؟! هذا ما كنت أستر خلفه ولكن الحقيقة أنها نفسي.. نفسي فقط هي من كانت تمنعني ولكن الآن هيهات.. هيهات.. ليس بيني وبينك يا محمد سوى حد السيف.

بدت خطواته نائرة قوية، وبدا في عينيه اللتين تتقدان شرًا وشع منهما بريق إصرار عجيب، كل شيء يدل على أن اللحظات القادمة ستحمل حدثًا جلا رهيبًا.

- كيف حالك يا عمر؟ لم أرك منذ زمن.

- ليس هذا بالوقت المناسب يا نعيم .
- قالها في طي نفسه، قبل أن يقول:
- بخير يا نعيم، كانت تشغلني بعض الأمور.
- نظر نعيم بخبث، وهو يقول:
- إلى أين يا عمر؟
- أدرك عمر مرماه، فقال بضيق وصبر نافذ: دعني الآن يا نعيم، ستعرف فيما بعد.
- لقد عزمت إذن.
- على ماذا؟
- على ما أنت ذاهب إليه!
- إليك عني يا نعيم الآن.
- كما تريد، فلتغفل عن أهلك إذن ولتمض لشأنك.
- قالها تاركًا عمر فاجرًا فاه، لينصرف، إلا أن كتفه قد طوقت بقبضة عمر الفولاذية التي أجبرته على البقاء، ليستمع إلى الصوت القادم من أعماق الجحيم:
- ما الأمر؟ أخبرني بكل ما تعرفه.

ويحك يا فاطمة! ها أنتِ تفسدين كل شيء بحماقتك. فلأنه أمرها، وأمر ذلك الصائئ سعيد، ثم أنصرف إلى هدي في الأسمى. إذن فطريق أبيك اخترت يا سعيد، ولكن شتان بين من مضى لسانه، ومن يبغى تدمير مكانتنا وهيبتنا! كلكم حمقى! لن أسمح لكم بالمضي في هذا الطريق، فلأنه اليوم كل شيء.. كل شيء.

طرقات متواصلة، بها كاد الباب أن يتهاوى، وصوت عمر مزمرًا يعلو ويعلو، وخباب لا يدري ماذا يفعل وهو ينظر نظرة خاوية إلى سعيد وهو يقول:

- إنه عمر.. أجل إنه عمر.

- اهدأ يا خباب واختبئ هناك ولا تقلق.

تحرك خباب مسرعًا، وهو يردد بهستيرية حقيقية:

- ويحي! ويحي! إنه عمر.. عمر.

تحرك ليتوارى في إحدى الغرف، قبل أن تتجه فاطمة مسرعة نحو الباب الذي لم تكذب بلغته حتى تهوى، ومن خلفه عمر وهو في أسوأ صورة تراه عليها في حياتها.

هربت الابتسامة التي حاولت أن تصنعها على وجهها، وتوقفت الكلمات في حلقها، وعمر يتقدم بحزم قبل أن يدفعها، متجهًا إلى سعيد، وقد راقبت فاطمة الأمر بحذر.

- أصبئت يا سعيد؟!

- لقد اتبعت الحق يا عمر.

- ماذا تقول؟

- لقد اتبعت الحق يا عمر، افعل ما بدا لك و...

صرخت فاطمة. ففي ثوانٍ معدودة، كان عمر يعلو زوجها الملقى على الأرض ويكيل اللكمات إلى وجهه الذي انفجرت الدماء منه، لم تدر فاطمة إلا وهي تحاول أن تحرك عمر، ولكن هيهات أن تحرك ذرة من هذا الجبل الذي فجأة ومن دون مقدمات وقف ليلتفت نحوها، وقد بدت كل ملامح الغضب والثورة في وجهه، فلقد توقع عمر ما فعلته، بل كان ينتظره، وكأنما كان هدفه الذي جاء من أجله، فوقف وجهًا لوجه أمام أخته متجاهلاً زوجها الذي لم يعد يحرك ساكنًا من جسده، وقد بدا كجثة هامدة.

- أصببتِ يا فاطمة؟

- لقد اتبعت محمدًا يا عمر.. اهدأ يا أخي واستمع لي.

لم تكذ تكمل حتى انتبهت بعد ذهول إلى ما حدث. لقد لطمها عمر، الذي لم يكن ليوجه نحوها ولو قولاً يسيء إليها. تجاهلت الدماء التي سالت على خدها وهي تلتفت إلى عمر وتقول بحزم:

- لقد أسلمت يا عمر.. ولن أحيّد عما فعلت؛ افعل ما بدا لك.

أيقظت عبراتها عمر، الذي انتبه فجأة إلى ما فعله، نظر إلى سعيد، ثم تأمل وجه أخته.

- هل هي فاطمة حقًا؟! ماذا حدث لها؟! ما الذي حوّل

تلك الوديعة الهادئة إلى وحش كاسر كالذي يراه؟!

أحس فجأة بأنه يتراجع وأنه في أضعف المواقف الممكنة.
لقد بدأ يتراجع، بل قل ينهار.. ولكن كلا.. لن يحدث شيء
من ذلك. تحرك بآلية تامة، ليقول بهدوء متجاهلاً كل ما
حدث:

- أين ما كنتما تقرأانه؟

تناولت الصحيفة لتلوح له بها قبل أن تقول:
- لن تحصل عليها إلا بعد أن تقتلني.. إنه طاهر.. لا يمسه
إلا المطهرون.

ثم قالت بمكر:

- اغتسل وتطهر؛ أمنحه لك.

نظر نظرة غاضبة، ثم قال محاولاً التغلب على غضبه:

- امنحيني الصحيفة يا فاطمة.

قالت بإصرار غريب:

- فلتغتسل أولاً.

ها هو يرضخ لها، ولأول مرة في حياته يستجيب لقولها.
ها هو يقدم تنازلاً، هو الأول في حياته ولربما يقدم غيره
وغیره.

• ويحك يا عمر! إلى أين تقودك قدماك؟

ولكن عجباً، إن نفسه لترتاح لهذا الأمر كثيراً.. تناول

الصحيفة بفراغ صبر.

- لن تكون أبلغ مما قرأت من قبل.. لن أراجع أبدًا ولن
تؤثر في تلك الكلمات المنمقة.. لن ولن ولن.

بدا تائهاً وإن كان سيره أقرب ما يكون إلى الصواب.. سار
بخطوات تعرف الطريق، وإن كان عقله لم يعرفه بعد.
- أما آن يا عمر؟

تساءل. ترددت التساؤلات، ولقد كان عاجزًا بالفعل عن
الجواب.

- أما آن أن ترسو على جزيرة الحق؟!
تأمل المنزل الذي ظهر في الأفق.. تعرج في سيره كطفل
يلهو في الطريق.

- أما آن يا عمر؟
امتدت الرمال أمامه وكأنما وجَدَتْ فقط لترشده.. إلا أنه
أحس بتيه وضياح.

- أما آن يا عمر؟ لو لم يظهر محمد.. لو لم يكن عمر.
لو ولو ولو وألف لو، ولكن إحداها أبدًا لن ترشده إلى
الطريق.

- أما آن يا عمر؟

تائه غريق لا يدري إلى أين يسير.

تيه وضياح وأقصى التيه تيه عن نفسك التي بين جنبيك..
ظلمة رهيبة حتى وإن علت الشمس فوق الرؤوس.

أي شمس؟! للشمس أعجز أن تضيء لتائه عن نفسه.

- أما آن يا عمر؟ إلى أين المسير؟! فلتجيبني يا سماء.. فلتجيبني
يا رمال الصحراء.. ولكني سأنتهي هذا الليل الطويل.. الحق
هنالك، فلا أتابع.. فلأَمْضِ وليمض الله أَمْراً كان مفعولاً.. ألا
إن الحق قد اتجه إلى هناك وإني لتابعه.

- نعم إنه عمر.

- هل أنت واثق؟

- نعم لا شَكَّ عندي. إنه في الطريق.

نظر الأرقم إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ثم نظر إلى
حمزة، الذي قال بهدوء:

- فليكن عمر. إن كان جاء بخير فمرحباً، وإلا فسيوفي في
شوق لاجتزاز رأسه.

تعالى صوت الطرقات على الباب، وقد تبادل الجميع
نظرات قلقة، قبل أن يومئ النبي -صلى الله عليه وسلم-

برأسه إلى الأرقم، الذي اتجه لفتح الباب، حيث طالعه وجه عمر المضيء وإن وشت ملامحه بلا شيء.

تحرك عمر بألية تامة ليطالع وجوه المسلمين، بينما تركزت عيناه على وجه النبي -صلى الله عليه وسلم- الذي فعل ما لم يتوقعه أحد. ففجأة وبلا أي مقدمات جذبته النبي جذبة عنيفة. وفي لحظة نادرة تهاوى جسد عمر.

كاد حمزة أن يتحرك.. بل كاد أبو بكر أن يتكلم.. ولقد أراد عليّ أن يكسر السكون، إلا أن كل ذلك لم يحدث. وكأنما ذابت الأفعال والأقوال وكل شيء في صمت رهيب.

سكون تام خيم على الجميع، وكأنما توقف الزمن للحظة قلما يوجد بمثلها مرة في كل جيل، قبل أن يقول النبي صلى الله عليه وسلم:

- أما أن يا عمر؟

تأمل عمر وجه الرسول -صلى الله عليه وسلم- وبهدوء عجيب انفرجت شفاته ليقول:

- بلى، أن يا رسول الله.. أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.

انساب الصوت العذب إلى الآذان، ولربما عجزت العقول عن استيعابه، في حين اشرأبت أعناق أهل مكة لينظروا إلى دار الأرقم بن أبي الأرقم. حيث ولد فجر جديد، وولدت معه أسطورة، عربية هذه المرة، واسمها عمر.

عمر بن الخطاب.

obeikandi.com

خطوات واثقة تلك التي سار بها.. لقد عزم ولن يثنيه أحد.. بل لم يعد هناك وقت للتراجع.. فلا مناص عن الرحيل.

لربما شعر بحزن دفين، ولكن لا بديل عن الذهاب.. وها هو يطوي صحراء مكة طيًّا إلى هدف منشود.. لن ينسى نظرات النبي -صلى الله عليه وسلم- حين أخبره بعزمه.. ليس بعمر الذي تفوته هذه النظرات.. كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يتحدث بفخر وهو يتأمل الواقف أمامه ويرى فيه جهد السنين وأمل الغد.

سبع سنوات منذ أسلم عمر.. سبع سنوات من عز الإسلام ونصرة الدين.

«ما زلنا أعزّة منذ أسلم عمر».

وها هو عمر يأبى إلا أن يسطر صفحة جديدة من نور.. صفحات مضيئة تضاف إلى كتب التاريخ.. وحدث جمل سيهز حتمًا أم القرى وما حولها.

- سنلتقي يا رسول الله.

قالها للنبي -صلى الله عليه وسلم- قبل أن يمضي.. كان

الحزن جليًا ولكن تصميمه غلبه هذه المرة.

- إن شاء الله سنلتقي يا عمر.

ربت النبي -صلى الله عليه وسلم- على كتفه ورنأ بها إليه،
قبل أن يتجه بعدها بصرهما إلى هناك.. إلى يثرب.

نفس تشع رهبة وجلالاً، تلك هي نفس عمر.

وبسيف لا يأبه بالصعب.. وبقوس في أشد الشوق إلى سهم..
وأمام الجمع.. طاف بالبيت سبعًا دون أن يثنيه أحد.

ثم أتى المقام ليصلي ركعتين متمكّنًا.. ولشدة الذهول لم
يتحرك منهم أحد.. دارت عيناه في جمع قريش.

- الله الله يا قريش! شأهت الوجوه.. لا يرغم الله إلا هذه
المعاطس!

ثم مرر إصبهه على ذاك الشج.. شج قديم على جبهة
أبي جهل ترك أثره حمزة يومًا.. إلا أن اللمسة الساحرة لإصبع
عمر، استدعت آلاف الذكريات في ذهن أبي جهل، ثم التقت
الأعين.

عينان التقتا في صمت.. وبصمت هو صوت الموت.. جاء
نداء من قلب الظلمة قد طلع الفجر.

التقت أعينهما لتصف صراعًا عنيًا فريدًا.. صراع لا تراه
الأعين مع شدته.. بضجيج لا يصل إلى الآذان.. غاصت عيناه
أكثر فأكثر.. اخترق بهما حواجز لم يجتزاها من قبل، وليمض
إلى حدود لم يعهدها.. ودار حديث صامت لم تسجله
الوثائق، إذ أنه أبدًا لم يتجاوز الشفاه.

- إني راحل!

- فلترحل!

- يومًا سأعود.

- أبدًا.. لا تحلم!

- لن تكون وقتها.

- أوتننبا؟

- بل أرى مستقبلك الأسود.

- أمري لي.. فلتمض.

- بل أمرك لعناد أحق! فلتمض أنت!

- إلى أين؟!

- إلى حيث نهاية متكبر.. لو وُكِّل لك أمرك لمضيت معي..

لكني سأمضي وحدي.

تأمل عمرو بن هشام وجه عمر الذي ينطق بإصرار
وعزيمة.

كان عمرو كارهاً حانقاً، وود لو ينطق بصبر فارغ:

- كفى يا عمر.

كان يعلم تمامًا من الواقف أمامه.. تلك القوة المتشحة بالإصرار.. ليست عن علم بالقتال.. أو شدة عند النزال، ولكنها عزة الإسلام.

العزة نفسها التي واجهه بها حمزة ذاك اليوم المشؤوم.. وأحدثت أثرًا أعمق من الذي يشهد به وجهه.. أثر لا يزول حتى الآن من نفسه.. وإلا فلم لم يواجه عمر حين أخبره بإسلامه من قبل؟!!

- اذهب يا عمر.. لن تجرفني بتيارك.. فلتذهب حيث تريد.. امض يا ابن الخطاب واتركني لشأني.. وسأبذل جهدي على ألا تعود.. سأبذل جهدي.. هذا وعد.. قصارى جهدي.. هذا أقصى ما عندي.

- يا معشر قريش.

انتزعه قول عمر من تأملاته، فعاد يراقب ذاك الواقف أمامه وهو يقول بصوت انساب من الأعماق

- يا معشر قريش إني مهاجر! يا معشر قريش، والله لو بلغت عدتنا ثلاثمائة رجل لقاتلناكم فيها حتى نخرجكم منها أو لتخرجونا منها.. يا معشر قريش.. إني مهاجر! إلا من أراد أن تتكله أمه.. أو ييتم ولده.. أو ترمّل زوجه.. فليتبعني خلف هذا الوادي.

ثم أشار إلى هناك ومضى.. نحو الوادي.

في حين كانت الأعين ترمق عمرو بن هشام، كان هو ينظر

إلى المستقبل.. إلى الغد.. لكن كان هناك اللا شيء.

- الله أكبر! لقد هاجر عمر.

كان ابن مسعود يردد ما رأى وهو يجري جزلاً في طرقات مكة.. حقاً لم يسمح له موقفه -وإن كان قرب الكعبة- بسماع الحوار، لكن الحدث كان أبلغ من أي بيان.. ولقد تكفل علي بن أبي طالب بإخباره بالتفاصيل، إذ كان على مقربة من الجمع.

علا بها صوته أكثر. ما إن رأى جمعاً من أصحابه.. هذا خباب، والثاني هو ثابت، بينما هذا الأخير هو عبادة. التفت إليه ثابت يسأل باهتمام:

- ومن أخبرك بالأمر؟

أجابه ابن مسعود بغبطة:

- لقد هاجر علناً.. على رؤوس الأشهاد.. أخبرني بذلك ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم. بلهفة واضحة تساءل عبادة:

- أخبرني بريك كيف حدث هذا.

نقل ابن مسعود بصره بين وجوه ثلاثهم التي اتسمت بالبشر قبل أن يقول قال ابن عم رسول الله صلى الله عليه

وسلم:

- إن عمر تقلد سيفه وتكب قوسه وانتقى بيده أسهمًا واختصر عترته، ومضى قبيل الكعبة والملا من قريش بفنائها، فطاف بالبيت سبعًا متمكنًا، ثم أتى المقام فصلى متمكنًا، ثم وقف على الخلق واحدة واحدة، فقال لهم: شأهت الوجوه.. لا يرغم الله إلا هذه المعاطس.. من أراد أن تتكله أمه ويتم ولده، أو يرمل زوجته فليتبعني وراء هذا الوادي.

قاطع عبادة بلهفة:

- وهل تبعه منهم أحد؟

أجاب ابن مسعود:

- لم يجرؤ أحد منهم على ذلك.. بل تبعه بعض المستضعفين.. فأرشدهم ووضح لهم الطريق قبل أن ينصرف مسرعًا، فقد كان متعجلًا.

وكان أبو جهل يهتز فرقًا ويشتات غضبًا، وهو يتبع عمر بعين ملؤها الحنق والبغض، ولم يجرؤ أحد منهم أن يحرك ساكنًا.

- لقد خذل الله عدوه وأيد عمر بنصره. ولكن ماذا عنا؟ ألم يأذن لنا النبي -صلى الله عليه وسلم- بالهجرة؟!

قالها خباب، فالتفت إليه ابن مسعود مجيبًا:

- كلا.. لم يأت الأمر بعد.

ثم صمت، لقد كان يدرك بأن حدث اليوم نقطة تحول

فارقة.. بينما استعاد ذهنه صورة أبي جهل، فعلته السعادة..
فمن يدري، لربما جاء اليوم الذي يثار فيه لأذنه التي
انتزعها عدو الله بجذبة واحدة؟!

نعم.. من يدري؟!

- لقد طال الطريق يا عمر.. متى نصل إذن؟!
هذا كان عياش بن أبي ربيعة، رفيق عمر في طريق الهجرة
بعد حبس هشام بن العاص عنهما.
التفت إليه عمر وعلى وجهه ارتسمت ابتسامة عريضة قبل
أن يقول:

- هنيئًا الهجرة يا عياش.. لقد وصلنا بالفعل.. بلّغنا الله
ثواب هجرتنا وجعل عملنا خالصًا لوجهه.
ما كاد عياش يبدأ بالرد حتى التفت إلى حيث نظر عمر،
فقد كان هناك ركب في الأفق.

أشار عمر بإصبعه إلى جهة الركب وهو يقول:

- إني أرى عدو الله أبا جهل.. ما جاء إلا لشر.

- أدركنا أبو جهل إذن!

- ما زاد أبو جهل على أن تبعني ببصره في مكة.. والله لو كان
جاء بشر لجعلت تلك الصحراء له قبرًا.

هنا كان رفيق أبي جهل يشير إلى ركب عمر قائلاً:

- ألا ترى يا أبا الحكم أن نرجع؟! ما أرى عمر بتاركة لنا.
- مالي ولعمر وما لعمر وما لي؟! إنما أتيت لعيش.. آخذه
وأرجع.

حانت منه التفاتة إلى سيفه، فتابع:

- بالحيلة يا رجل.. بالحيلة.

كان يعلم تمامًا أن رفيقه يتوجس خيفة.. هو أيضًا يزايله
خوف عميق من الصدام ولكن الوضع كان تأزم بالفعل،
وما فعله عمر لا بديل معه عن العودة بعيش، ربما استرد
شيئًا من كرامة قد أهدرت، ومن هيبة صارت لعبة بيد
صبيان مكة.. وليعتبر به من اعتبر!

ارتسم على وجه أبي جهل خليط من خوف وضيق وحزم
وهو يصرخ:

- أدرك أمك يا ربيعة.. أدرك أمك أيها البار.. لقد نذرت
ألا تستظل من شمس السماء ولا يمس شعرها مشط حتى
تراك.. أ يكون هلاك أمك على يديك وما عهدناك إلا بارًا؟!
أدرك أنه أدى دوره ببراعة فائقة، فألقى بنظره إلى عمر،
وكأنما يجرّوه أن يصمت، إلا أن عمر نطق بقوة:

- والله ما أراهم إلا أرادوا فتنتك يا ربيعة.. ما يعجزون
عنها إن عدت معهم.. إني لأرى مخايل الغدر على وجه هذا
الكافر.

- كفاك يا عمر.. ما لك وللأمر. (قالها أبو جهل).

- بل اخسأ يا عدو الله.. ما أردت إلا فتنته، أرى مخايل الغدر تكسو وجهك.

ثم التفت ليقول لرفيقه بهدوء:

- صبرًا يا أخي.. ما تلبث أمك أن تؤذيها الشمس، فتستظل وتؤذيها رأسها فتمتشط.. ما أراهم إلا أرادوا فتنتك.

- بل أراهم صادقين يا عمر! إني راجع إلى أمي.. ما كنت إلا بارًا بها.

استشف عمر عزماً في عيني ربيعة، فقال بيأس:

- ما أرى إلا الغدر في وجوههم.. فإن كان لا بد.. فخذ ناقتي ناقة نجيبة.. فإن لمست غدرًا، فأنت بها ولا تلوي على أحد.. ولن يصلوا إليك بإذن الله.

- ما أرى الأمر كذلك يا عمر.. وإنما أبرّ أمي ثم أعود.. إن لي مالا تركته هناك أيضًا!

- أفلا تتبعني؟ إن كان الأمر لمالك فلك نصف مالي ولا ترجع يا ربيعة.

- سأعود يا عمر.. لا تخش شيئًا ولتطمئن، فسأخذ الناقة.

تابع عمر ببصره صاحبه الذي مضى.. ولقد كان عمر يشعر بغصة في حلقه، إلا أن شعورًا زائله بأنهم سيلتقيان من جديد، فتمتم بدعوات صادقة:

- اللهم آت بعياش

قبل أن يكمل ما بقي من طريقه نحو المدينة.. ولقد كان
قصيراً.. جد قصير.

تسللت الأشعة الخافتة لضوء الشمس لتغمر جنبات المسجد النبوي وقد بدت حزينة معلنة يومًا جديدًا، ليس أبدًا شبيهًا بأي يوم، معلنة كذلك حسدًا تكّنه لقمر أمضى ليلته الفائتة في كبد السماء.

اجتماع صامت ذلك الذي كان هناك.. صمت مقدس ذلك الذي لف المكان.. وكأن الجميع يؤدون ترانيم صامته في جو مهيب، أبي أحدهم أن يكسره إلا بتلاحق الأنفاس المتوترة، تنتظر حدثًا لا تدري كنهه.

نظرات مترددة متسائلة تبادلها الجميع، لكن أحدًا لم يبح بشيء.. بل ومن يدري! ربما أي منهم لم يكن يملك حقًا ما يقول!

ترددت خطوات ابنة السادسة عشرة في الغرفة ذهابًا وعودة، محاولة ولو بقدر ما أن تستوعب ما حدث، فلقد كان حقًا عسيرًا على التصديق.

تقاذفتها التساؤلات والظنون، ولكنها حتى الآن لا تصدق أن ما تحياه حقيقة واقعة لم تعشها في أسوأ كوابيسها وأكثرها فزعًا.

لربما ترددت.. توقفت.. تخاذلت.. ولكنها أبدًا لم تتراجع..
فلقد تقدمت عائشة -رضى الله عنها- في ذلك الصباح (صباح
الإثنين الثاني عشر من ربيع الأول، للعام الحادي عشر من
الهجرة النبوية) نحو تلك النافذة، التي طالما أطل منها
النبي -صلى الله عليه وسلم- على المسجد متفقدًا أصحابه،
وأرخت الستائر لتطل بدورها على الناس.. تلفتت لترى هذا
الجمع هناك، ولكنها لم تلمح أباهما بينهم.
ترددت لمرة أخيرة قبل أن تلقي قبيلتها التي كسرت الصمت
المقدس:

- مات رسول الله.

وتأزم الموقف.. تأزم بحق.

تبلور الحدث وتجسد تمثالاً لأشنع الشياطين.. واتضحت
معالم الموقف.. لوحة جميلة ملطخة بالسواد.
وتغوص في الظلام.

ظلام دامس.. وصمت مطبق واصل تزايديه وبصورة ما
اندفع له الجميع هربًا.. أو لنقل عجزًا.
صمتٌ توقف معه كل شيء.. توقف الزمن وتوقف البشر.

بل ووقف التاريخ محايدًا، بل -والأدهى- مشاهدًا.

صمت ثقيل خانق أقره الجميع -وبلا أي اتفاق سابق- قبله
الكل.. لكنه طال.. طال وطال واتضح أنه لا بُدَّ أن يكسره
شيء.

وهل يكسر الصمت مثل الكلام.. أي كلام.

وهنا اندفع إلى بؤرة الحدث عمر.

مجبّرًا الزمان على أن يتحدث، ومجبّرًا التاريخ على أن يفوق من كبوته ليدون.

وأجبر نفسه هو -دون سواها- على أن يجادل ولو بطريقة ما.

أن يتحدى الموقف.. يكافئه.. يلغيه.. وبمعجزة ما يمحو هذه الساعة من ذاكرته.. تكلم عمر.. تكلم وهو لا يدرك حتى كيف سيجيب السؤال الملح: «لم تكلم؟».

ولكن ما يعلمه جيدًا أنه تكلم!

بيأس وأمل صدرت الكلمات.. قوية.. صارمة.. لسبب ما تقبلتها النفوس.. ربما لأنها هزمت الصمت.. ربما لأنها وعلى الرغم من أن العقول أو القلوب سواء لم تألفها، ولكنها أقرت بأنها ارتاحت إليها.

وجدت فيها ما يخفف الوطأة ويعالج الكارثة حتى ولو بكارثة أعمق.

وجدت في كلمات عمر ما لم تنتظره.. ما لم تتوقعه.. وربما لمثل هذا سبب قبلته.. ربما لسبب آخر.

انطلقت الكلمات.. اتخذت الآذان منها موقفًا عدائيًا.. رفضت الجدران بإصرار عجيب أن ترددها.. ولكنها انطلقت.

- إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله -صلى الله

عليه وسلم - توفي. وإن رسول الله ما مات.. لكن ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، فغاب أربعين ليلة، ثم رجع إلى قومه بعد أن قيل بأنه مات.

وبدا لأول مرة أن الموقف قد خرج على المألوف.

وعلى الرغم من تلاشي المألوف ذاته لكن الموقف بدا غريبًا مموهًا.. ينتظر الحسم.. ينتظر الحق.. حقًا يعلم الكل بأنه هناك يقبع في الأفق.

لربما يختفى عن الأعين ولكنه سيظهر حتمًا.. ومن يدري! ربما لا يظهر أبدًا.

في هذه اللحظة بالتحديد بدا أن الكون كله توقف ليشاهد تلك البقعة التي تركزت عليها أضواء الدنيا كلها.. لتسجل لحظة الحسم.. لحظة انعدام الاحتمالات.

ولتتجلى للعيان الحقيقة.. حقيقة واحدة.. واحدة فحسب.

وأنبئت الأرض من كان هناك.. بالضبط في الموعد والمكان.

وإن كانت هناك أحداث تصنع رجالًا.. فإن هناك من الرجال من يصنع الأحداث.

أقبل الصديق أبو بكر، حتى نزل عن فرسه ودخل المسجد، ثم اتجه نحو الغرفة التي صارت مثار التساؤلات في هذا الصباح.. وهناك رأى ما لم يكن يتمنى أبدًا أن يراه.. لربما غالبته دموعه فغلبته.. لكن الموقف والحدث والمكان والزمان، أيًا منهم لم يحتوئه.. ولقد كان لا بُدَّ أن يتغلب على كل هذا، حيث اتجه بعزم هو نفسه يتعجب منه.. وبإصرار

اتجه إلى مركز الحدث، إلى حيث وقف عمر يردد كلماته التي ذابت في الصمت، فكونَ مزيجًا ساحرًا فرض نفسه وكيونته على الجميع.

وبدا أن قول عمر هو الحقيقة الوحيدة الراسخة هذا الصباح، وبأن من أراد المخالفة فليتكلم الآن أو ليصمت إلى الأبد.

مر الصديق بعمر، فقال بحزم:

- اجلس يا عمر.

ولكن هيهات.

خيّل لعمر نفسه أنه لم يسمعها.. بل من أدراه بأنه رأى أبا بكر من الأساس.. لقد رأى رجلًا.. بل قل طيفًا.. ربما رآه قبلاً وربما لا.. ربما عرفه يومًا.. أما اليوم فهو لم يعد يعرف أحدًا.

بل لم يعد يعرف قولاً ولا فعلاً.

تأمل الناس يتحولون عنه إلى هناك، إلى حيث يتكلم هذا الرجل.

- ماذا يقول؟

وهل عاد هناك من قولٍ يقال، ولكن ويا للعجب -فبلا إرادة- سكت عمر! صمت ولكن ما يزال يراقب شفتي المتكلم وهو لا يكاد يسمعه.. أو لا يريد أن يسمعه.

ولكن جملته الأخيرة اخترقته.. زلزلت كيانه زلزالًا.

لقد قالها أبو بكر ولم يعد هناك جدل:

«وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ
أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ
يُضْرَّ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ».

وتهاوت قدما الفاروق وهو يدرك لأول مرة هول الفاجعة..
واضحة هذه المرة بلا أي شائبة أو شك.. وبدأت أنفاسه
تنساب منه إلى المجهول.

وبدأ يتأمل الحركة اللا نهائية من حوله.. وفي نفسه سؤال
يتصاعد ويتصاعد: أهى فى كتاب الله يا أبا بكر؟! أهى فى
كتاب الله يا أبا بكر?!

شعر بأنه يسقط فى هوة سحيفة.. تسحقه الكلمات فلا
يكاد يستقر حتى يواصل السقوط من جديد.
وتداعت إلى نفسه ذكرى عطرة.. كان مع قسوتها أكثر قوة
وبأسًا.

يزيده وجه النبى -صلى الله عليه وسلم- إصرارًا وعزمًا.
تذكر أبا سفيان إذ وقف فى كامل العدة والأهبة، مطاولاً
ومفاخرًا على جبل أحد.
إذ علا صوته مدويًا، وهو يتساءل بسخرية: أفى القوم
محمد؟

واندفع عمر ليجيب، إلا أن أمر النبى كان حاسمًا:

- لا تجيبوه!

وازداد أبو سفيان نشوة وطرباً:

- أفيكم ابن أبي قحافة؟

وأجابه صمت مطبق أثر أمر النبي!

وازداد أبو سفيان ثقة مع سؤاله الثالث، الذي فجّر بركاناً
في نفس عمر ولكنه رضخ للطاعة:

- أفي القوم ابن الخطاب؟!

وللمرة الثالثة، أجاب الصمت.. صمت مطبق خيم على
الجبيل.

واكتسى أبو سفيان ببهاء شيطاني عجيب، وهو يردد بزهو:

- يا معشر قريش.. قُتلوا! لو كانوا أحياء لأجابوا.

وتهيأ عمر للطاعة من جديد، إلا أن النبي هو من صمت
هذه المرة، والتقت عينا النبي بعيني عمر، فتفجرت ينايع
الإصرار، فرد بصوت اهتز له أبو سفيان فرقاً:

- كذبت يا عدو الله.. بل أبقى الله ما يسوؤك.

ولكن أبا سفيان تمالك نفسه، فعلا الصخرة صائحاً:

- أعلُّ هُبْل.

وانسابت الكلمات رقيقة هادئة من فم النبي، ردها بعده
عمر ورددها المسلمون وتفاعل معها الجبل، فكانت أنشودة
عذبة.. وتردد في الأفق الصوت صادحاً، معلناً مقياساً جديداً
من مقاييس الغلبة والنصر، ومن قلوب لا تعرف إلا الانتصار،

دوى الصوت الذي هز الأركان:

- الله أعلى وأجل.

وتراجع أبو سفيان.. قوة ما لم يدر كنهها أجبرته على
التراجع.. بل وهبط إلى صخرة أدنى متابعًا:

- لنا العُزَّى ولا عُزَى لكم.

وعاد اللحن يصدح من جديد والجبل يردد قولاً حاسماً:

- الله مولانا ولا مولى لكم.

وتراجع أبو سفيان ثانية، ولكنه تمسك بأمل ما زال يقبع
في نفسه، وهو يقول بصوت حاول أن يجعله قوياً متماسكاً،
فخرج واهناً متحشراً:

- يوم بيوم بدر.. الحرب سجال.

وبعزم يتعلم منه العزم كيف يكون، تكلم عمر فأسمع:

- لا سواء، قتلنا في الجنة وقتلناكم في النار!

وهنا أدرك أبو سفيان بأن لا مجال لجدل جديد، فرضخ
وهو يقول بهدوء:

- أصدقني القول يا عمر.. أقتلنا محمداً؟

ارتسمت ابتسامة ساخرة على محيا الفاروق، وهو يقول:

- اللهم لا.. وإنه ليسمع كلامك الآن ولترين منا ما يسوؤك.

وانصرف أبو سفيان.. انصرف مكتفياً بما نال.

بل لم يزد أن ردد بهدوء ووهن:

- والله يا عمر لأنت أصدق عندي من ابن قمئة وأبرر..
ولقد قال إني قتلت محمدًا.

وتردد الوحي الذي نزل من السماء بقوة:

«وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ
أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ
يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ».

- أهى في كتاب الله يا أبا بكر؟!

عاد عمر يسأل نفسه من جديد وهو يلمح ظللاً تتحرك
من حوله.

ثم عاد إلى ذهنه وجه أبي سفيان، الذي جاء يوم نقض
الصلح.. يا له من يوم! يوم أن تمنى عمر ولو جاهدتهم
بالذر.

يوم العودة إلى مكة.. آه ثم آه يا مكة! أرض الصبا
والشباب.. لقد سعد عمر أيما سعادة يوم أن رأى الكعبة.
آه يا خير بلاد الله! ها قد جئت من جديد.. ها قد صدق
عمر.. ها قد جاهدوهم وإن لم يخرجوهم منها، فلقد
دخل الناس في دين الله أفواجًا.

لقد شعر عمر فيما شعر بسعادة عارمة اجتاحت النبي
صلى الله عليه وسلم- يومها.. ها هو يعود إليها بعد أن
كادوا يقتلونه فيها.. يقتلونه! ولكنهم أبدًا لم يقتلوه!

تساءل من جديد:

- أهى فى كتاب الله يا أبأ بكر؟! هل مات رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حقا؟ هل مات؟! «أو لم يخطبهم يوم حجتة، فقال أيها الناس اسمعوا قولي فياني لا أدري لعلى لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً» هل مات رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حقا؟ هل مات؟!!

كان عمر يعلم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- مرض مرضاً شديداً.. المدينة كلها كانت تعلم ذلك.. ولكن...

لم قال:

- لا تتخذوا قبري وثناً؟

ولم قال:

- أوصيكم بالأنصار خيراً؟ أيها الناس، اتقوا الله فى النساء، اتقوا الله فى النساء، أوصيكم بالنساء خيراً.

بل لم قال:

- إن عبداً خيرهُ الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده، فاختار ما عنده.

نعم.. قالها النبي صلى الله عليه وسلم. بكى يومئذ أبو بكر، ولقد قال نفديك بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله.

أو قد رأى يومئذ أبو بكر ما لم يره أحداً.

- أهى فى كتاب الله يا أبأ بكر؟!!

وهنا انسابت الدموع من عيني عمر.. وفجأة تراءى له
الموقف كاملاً.. وتراءت الحقيقة واضحة.. مجردة خالصة
هذه المرة.. ولكنها قاسية.. جد قاسية.

وتناهى إلى مسامعه صوت فاطمة الباكي:

- يا أبتاه.. أجاب ربًّا دعاه.. يا أبتاه.. جنة الفردوس مأواه..
يا أبتاه.. إلى جبريل ننعاه.

لقد اتضح الموقف إذن ولم يعد يحتمل جدلاً.

وداعًا يا رسول الله.. مع الذين أنعم الله عليهم من
النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقًا.. إلى الرفيق
الأعلى يا رسول الله.

ولكن.. لنقل إلى لقاء.

وانتقل بعينيه المغرورقتين بالدموع إلى حيث الحجرة التي
طالما رأى النبي -صلى الله عليه وسلم- يطل منها إليهم.
ولكنه لن يطل عليهم منها بعد اليوم.. أبدًا.

obeikandi.com

- اكتب يا ذا النورين.

قالها أبو بكر بوهن.

كان الكل يدرك أن الخليفة في مرض الموت.. هو كذلك يعلم بأنه المرض الأخير.

- آه أيها الزائر الغالي.. غداً نلقى الأوبة.

وعاودته حينها ذكرى ذلك اليوم العصيب.. ومن ذا ينسى يوم الثقيفة.. يوم فتنة وأدها عمر.. وحينها وقف الصديق موقفه كذلك.

- اختاروا عمر.. أجرى الله الحق على لسان عمر وقلبه.. اختاروا أبا عبيدة.. أمين أمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

ولقد أجرى الله الحق يومئذ على لسان عمر.. فلقد تحرك ممسكاً بيد الصديق.. صادقاً في الأرجاء أن بايعوا من قدمه رسول الله.. أيكم طابت نفسه أن يتقدم اليوم أبو بكر؟!

ابسط يدك يا صديق نبايعك.

لك الله يا عمر، فلقد رتق ثلثة ما كان لها أن ترتق..

ووأد فتنة ما كان لها أن توأد.. تملكك تلك الذكرى الصديق
بإصرار.. وصرخت أعماقه أن يوم الثقيفة لن يعود.. وأي عودة
تلك إن عاد، فالمسلمون اليوم بين أسدين جريحين (فارس
والروم) ينتظران غفوة للانقضاض.

لقد قالها الصديق لا تحتمل جدلاً يوم سئل:

- والله ما ندري أنت الخليفة أم عمر؟

فقال: - بل عمر.. إن شاء الله!

وها هو اليوم قد شاء الله.

- اكتب يا عثمان.. بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد
أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجاً عنها، وأول
عهده بالآخرة داخلاً فيها، حين يؤمن الكافر، ويوقن الفاجر
أني استخلفت عليكم بعدي.

وبدأ الألم هجومه بلا هوادة ولا رحمة، إلا أن الخليفة
قالها بإصرار ليسجل عهداً جديداً في بلاد العرب.. ولتشرق
شمس جديدة على أرض الإسلام.

- اكتب يا زوج ابنتي رسول الله.. إني استخلفت عليكم بعدي
عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا. أوكتبت يا عثمان؟

- نعم يا خليفة رسول الله.

- فاختتم الكتاب، واشهد يا ذا النورين بأني استشرت
المسلمين.. اشهد بأني استشرت صحابة النبي وإن أبي بعضهم
(بأسى بادٍ نطقها قبل أن يسأل بلهفة)، أفشاهد أنت يا

عثمان؟

- أشهد يا خليفة رسول الله.. أشهد.. وإن كنت عانيت
طلحة والزبير، فلقد فاء إلى رأيك فيه.

- والله يا عثمان إني لأعلم أن به غِلظة ولكن ذاك لما يراني
رقيقًا.. إني لأعلم عمر.. والله لو أفضى الأمر إليه لترك كثيرًا
مما هو عليه (بنظرة واثقة قال الصديق) يا عثمان.. إني
أريد رجلاً إن قال نعم، قالها بملء فيه، وإن قال لا قالها
بملء فيه.

قالها الصديق وقد ارتسمت في ذهنه صورة لرجل واحد.
رجل اسمه عمر.. عمر بن الخطاب.

هائج كبحر.. ثائر كبركان.. أمسك الفاروق بتلابيب سعيد
بن زيد، منتزعًا إياه من جوار علي بن أبي طالب، وهو
يصرخ:

- والله لقد زكيتني عند أبي بكر قبل موته يا سعيد!

ارتجف سعيد وهو يغالب تلاحق أنفاسه، وقد شعر بأن
روحه تتسلل من بين جوانبه، وهو يجيب بصوت متحشرج
وكلمات متقطعة:

- والله ما زكيتك يا عمر! والله ما رشحتك!

رَبِّتْ عَلِيًّا عَلَى كَتِفِ عُمَرَ، وَهُوَ يَغَالِبُ رَغْبَةَ مَلْحَةٍ فِي الضَّحْكِ، قَائِلًا:

- دَعِ ابْنَ عَمِّكَ يَا ابْنَ الْخُطَابِ.. أَوْتَقْتَلُ صَهْرَكَ لِأَنَّهُ زَكَاءُ!
(نَظَرَ نَظْرَةً مَآكِرَةً وَهُوَ يَطَالِعُ مَلَامِحَ سَعِيدِ الَّتِي ارْتَسَمَ عَلَيْهَا الرِّجَاءُ)، مَا زَكَاءُ وَمَا رَشْحُكَ، وَلَقَدْ شَهِدْتَ الْمَجْلِسَ وَلَقَدْ قَالَ فِيهِ سَعِيدُ:

- مَا أَعْلَمُ مِنَّا أَحَدًا إِلَّا كَانَ أَسْبَقَ إِلَى الْإِسْلَامِ مِنْ عُمَرَ.
تَرَكَ عُمَرَ ابْنَ عَمِّهِ يَنْسَابُ مِنْ قَبْضَتِهِ وَهُوَ يَرِاقِبُهُ بِحَذَرٍ، قَبْلَ أَنْ يَقُولَ بِحَيْرَةٍ:

- أَحَقًّا قُلْتَ هَذَا يَا سَعِيدُ؟!

كَادَ سَعِيدُ أَنْ يَصْرَخَ بِأَنْ نَعَمْ، إِلَّا أَنَّهُ عَجَزَ عَنِ الْكَلَامِ فَأَوَّمَا بِرَأْسِهِ عَلَامَةً الْإِيجَابِ.

- لَيْتَ أُمُّ عُمَرَ لَمْ تَلِدْ عُمَرَ.. وَاللَّهِ لَقَدْ حَمَلَنِي أَبُو بَكْرٍ التَّبِيعَةَ مِنْ رَقْبَتِهِ إِلَى رَقْبَةِ عُمَرَ.. وَمَا لِعُمَرَ؟ أَوَّلَيْسَ فِي الْمُسْلِمِينَ سِوَى عُمَرَ.. وَيَلَيْكُ يَا ابْنَ الْخُطَابِ مِنْ حِسَابِ اللَّهِ.

ارْتَسَمَتْ نَظَرَاتُ جَادَةِ هَذِهِ الْمَرَّةِ عَلَى مَحْيَا عَلِيٍّ، وَهُوَ يَقُولُ:

- هَوِّنْ عَلَيْكَ يَا عُمَرَ.. الْإِمَامُ الْعَادِلُ مِنَ السَّبْعَةِ الَّذِينَ يَظْلَهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ.

- إِمَامٌ عَادِلٌ؟ وَمَنْ لِي بِذَلِكَ يَا أَبَا الْحَسَنِ؟ مَنْ لِي بِذَلِكَ؟
قَالَهَا ثُمَّ انْصَرَفَ، فِي حِينَ تَبِعَهُ سَعِيدٌ بِنَظَرَاتٍ قَلْقَةٍ مُرْتَابَةٍ..

قبل أن يفاجأ بعليّ يلكزه في كتفه، وهو يقول ساخرًا:

- أرايت يا سعيد؟! لم أخبره بما قلت.

فنظر سعيد بوجوم:

- ويحك يا أبا الحسن! بم أردت أن تخبره؟

- أو لم تقل فيما قلت: والله لو علم عمر أنني رشحته للخلافة فيمن رشحه ليحاسبني حسابًا عسيرًا؟! أولم يقل لك الصديق -رحمه الله- هذه إذن شهادة تكفينا منك؟!

اكتست ملامح سعيد برعب حقيقي، في حين ارتسمت ابتسامة عريضة على وجه عليّ وهو يتابع عمر، الذي قد مضى في سيره.. مضى بعيدًا.. جد بعيد.

بدأت جيوش الظلام تواصل زحفها على سماء دمشق، معلنة انتصارها أخيرًا على جيوش النور ومبشرة بفجر جديد سيلوح في الأفق.

وبدأت ظلمة حالكة تتسلل إلى سماء المدينة، في حين اكتست ملامح خالد بحزن دفين، قبل أن ترنو إليه أم تميم بحنو:

- لكم ترهق نفسك يا أبا سليمان! ما للدنيا نعمل! وأبو عبيدة لن يقضي أمرًا من دونك.

التفت إليها بوجوم واضح وهو يتمتم بعبارات أبي عبيدة:

- يا خالد ما سلطان الدنيا نريد وما للدنيا نعمل!

ثم توجه بالحديث إلى أم تميم بصوت خفيض كأنما يحدث نفسه:

- أتاه كتاب عمر وتركني حتى فتحت دمشق.. بل وطاردنا جيوشهم، حتى بلاد الروم، فما أخبرني.. صلى خلفي والسلطان سلطانه ولم يخبرني.

- هوّن عليك يا أبا سليمان.. هذا هو قدر الله.

- وهذا هو أمر عمر.. ما كان ابن الخطاب ليتركني.

ثم تأمل وجه زوجته متابعًا:

- أتعلمين يا أم تميم بأنك أحد أسباب سخط عمر؟!

- وما شأني أنا بما بينك وبين عمر؟

- يوم الردة.. ما إن دخلت مسجد الرسول -صلى الله عليه وسلم- حتى استقبلني عمر.. انتزع أسهمي فكسرها، وهو يقول:

- والله إن في سيفك رهقًا يا ابن بني مخزوم.. قتلت مسلمًا، ثم نزوت على امرأته.. والله لأرجمنك بأحجار.

- أو قال عمر ذلك؟!

- والله ما قتلت مالك إلا كافرًا.. ولا تزوجتك إلا بعد العدة.

ثم عاد ينظر إلى أم تميم وقد اكتسى وجهه بابتسامة

مرحة:

- لأجلك كنت سأرجم بأحجار يا أم تميم.

ثم عادت صورة عمر تحتل ذهنه، فقال بضيق:

- والله ما أتاني بعدها من أبي بكر من أمر إلا كان لهذا الأعرس فيه يد.. ولقد أرسل إليّ الصديق ألا أعطي شيئاً إلا بأمره.. فأرسلت بأن دعني، وإلا فاعزلي.

قالت أم تميم مهوَّنة:

- ولكن أبا بكر -رحمه الله- لم يعزلك.

تابع، متجاهلاً كلماتها الأخيرة:

- ولقد أرسل إليّ يقول: يقطر الدم يا ابن أم خالد.. إنك لفارغ.. تنكح النساء وبفناء بيتك دم ألف ومائتي رجل مسلم لم يجف؟! ويلي إذن من عمر!

- إلى هذا الحد تبغضه يا خالد؟!

نظر إليها في حيرة قبل أن يجيب:

- إني لأحبه وأبغضه.. كلاهما معاً. (ثم تراجع) كلا والله ما أبغضه.. لقد فرح لإسلامي مثلما فرح رسول الله. (بحيرة) والله إن عمر لعظيم. (التفت إليها وهو يقول مازحاً) ثم لقد ولدته مخزومية.. أولاً يكفي هذا ليكون عظيماً؟!

- لكم تحب بني مخزوم يا خالد!

بلهفة قال:

- ريحانة العرب (ثم كمن ندم فاستدرك) الحمد لله
الذي أعزنا بالإسلام.

قالها ثم أرسل بصره في الأفق.. تناسى الزمان والمكان وقد
تنازعت آلاف الأسئلة، في حين ارتسمت في ذهنه صورة لضفاف
نهر احتل عقله تمامًا.. نهر اليرموك.. بينما كانت أم تميم
تتمتع بأبيات طالما أعجبت عمر، وإن لم تكن تدري بذلك!

هدوء مقيت خيم بظلاله على مجلس أمراء المعارك
الدائرة في الشام.. وبينما كان معاذ بن جبل وأبو عبيدة
يتبادلان نظرات قلقة، كان خالد يغوص في أحلام اليقظة
الخاصة به ويخلق بعيدًا عن المجلس الذي جمع ثلاثتهم..
وبنبرة مرتابة تحدث معاذ، موجهاً حديثه إلى أبي عبيدة، وهو
يقول:

- الأمر جد خطير يا أبا عبيدة.. سيهاجم يزجر مدينة
النبي صلى الله عليه وسلم.

بادله أبو عبيدة نظرة حائرة:

- أوصدقًا هذا القول يا معاذ؟! أولم يرجع أمير المؤمنين
عن المضي إلى العراق لقيادة الجيش هناك؟

- ما رجع إلا بعد أن علم أن هرقل يريد أن يشن هجوميًا

مماثلاً، فرأى أن الأمثل هو البقاء بمدينة الرسول بدلاً من
المجازفة بالرحيل عن المدينة وتركها عرضة للهجوم.

- لا تخش شيئاً يا معاذ بالعراق المثني.. لا ينام ولا يترك
أحدًا ينام، ثم التفت إلى خالد الذي بدا منشغلاً عنهما،
مثله مثل ابن الوليد..

- ما بك يا أبا سليمان؟ ألا تتشاور معنا؟

تنبه خالد للسؤال، فنظر إلى أبي عبيدة مردداً:

- ألا تزالون تحدثون عن يزدجر.. أوتظنون حقاً يا أمراء
الجيش أن هذا الغلام قادر على أن يخوض صحراء العرب
بعد كل ما لاقوه في العراق من هزائم؟!

قال معاذ بفرح:

- لقد ولى أمير المؤمنين سعد بن أبي وقاص على جيش
العراق!

ابتسم خالد وهو يقول:

- الليث عاديًا.. نَعْم الرأي رأي عمر.. ليلتهمهم سعد
التهامًا.

تأمله أبو عبيدة متسائلاً بجد واضح:

- أتعقد بأن هرقل قد يهاجم المدينة حقاً يا خالد؟

ازدادت ابتسامة خالد اتساعاً، وهو يقول:

- هرقل هذا دعه لي.. لأشردن لك جيشه الذي جمعه في

الأرجاء.

تساءل أبو عبيدة بقلق:

- أوما زلت مصرًا على خطتك يا أبا سليمان؟!
التقط معاذ كلمات أبي عبيدة ليسأل بحيرة:

- أي خطة تلك يا خالد؟

سارع أبو عبيدة بالإجابة:

- يريد أن ينسحب من دمشق!

ذهل معاذ وهو ينظر إلى خالد غير مصدّق، فأسرع خالد
يقول:

- لم أقل إننا سنسحب من دمشق بالتحديد!

بدا ارتياح ما يرتسم على محيا معاذ، حتى تابع خالد
بغثة:

- سنسحب من دمشق وحمص وشيزر وحماة وبعلبك،
تأمل نظرات الدهول الخاوية التي ارتسمت على محيا معاذ،
متابعًا:

- سنسحب من كل مدينة في ذلك المكان.

كان يتحدث مشيرًا بيده، مكوّنًا نصف دائرة، متراجعًا بها
إلى الخلف وهو يتابع، مكملًا لمعاذ:

- سنجتمع بالبلقاء على تخوم أرض العرب.

تنبه معاذ فجأة من ذهوله وهو يلقي بسؤال:

- أَوَتَأْمَلُ حَقًّا أَنْ يُوَافِقَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى ذَلِكَ؟!
- سارع أبو عبيدة بالحديث لئلا يترك المجال لخالد لإجابة حادة من أي نوع:
- أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَمَرَ بِالإِسْرَاعِ فِي الْمَعْرَكَةِ حَتَّى نَبَاعِدَ بَيْنَ هُجُومِ الرُّومِ وَهُجُومِ فَارَسَ.
- أومأ خالد برأسه متفهمًا:
- أَدْرَكَ تَمَازُجًا مَا يَرَاهُ عَمْرٌ.. لَقَدْ أَقَمْتُ نَفْسِي مَوْقِفَهُ، فَمَا وَجَدْتُ إِلَّا أَنَّهُ مُحَقٌّ لِأُبْعَدَ مَدًى.. لَا تَخْشُ شَيْئًا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ كُلِّ مَا أُرِيدُهُ أَنْ يَظُلَّ الْأَمْرُ سَرًّا.. وَأَنْ تَأْمُرَ الْجَيْشَ بِطَاعَتِي عَلَى كُلِّ أَمْرٍ وَلَوْ خَالَفَ رَأْيُكَ.. وَعَلَيَّ أَنَا التَّبَعَةُ كَامِلَةٌ.
- ثم خفض من صوته وهو يشرد بذهنه بعيدًا، وبدا وكأنما يجادل نفسه:
- إِنْ لَأَرَى جِشْتَ الرُّومَ هُنَاكَ قَرَبَ نَهْرِ الْيَرْمُوكِ.
- ثم تأمل وجه أبي عبيدة وهو يقول بنبرة حاملة:
- دَعِ الْمَعْرَكَةَ لِي، وَلِأَقْبِرَنَّ الرُّومَ هُنَاكَ.
- كان معاذ يكاد يصرخ وهو يقول:
- مَهَلًا مَهَلًا.. أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَمْرٌ لَنْ يُوَافِقَ عَلَى هَذَا أَبَدًا.
- نظر إليه خالد، وهو يقول بهدوء:
- وَاللَّهِ لَيَرِينَ عَمْرٌ مِنَ الْمَدِينَةِ مَا لَمْ تَرِيَاهُ هُنَا.. وَاللَّهِ لِأَضْرِبَنَّ الرُّومَ ضَرْبَةً لَنْ تَقُومَ لَهُمْ بَعْدَهَا قَائِمَةٌ.. قَالَهَا،

ثم عاد لشروده من جديد.

تسللت أشعة الشمس لتضيء جوانب المسجد النبوي الشريف، في حين امتلأ وجه الخليفة بشراً وسعادة وهو يقلب يده في كيس التراب أمامه، وسرعان ما اقترب من حوله من الصحابة يحذون حذوه ويتبادلون التراب فيما بينهم، قبل أن ينظر عمر إلى عاصم بن عمرو الليثي، الذي بدا عليه أثر السفر، ليقول بودّ:

- أخبرنا يا عاصم ماذا فعل يزدجر معكم.

اقترب الجالسون من المجلس أكثر فأكثر، ليسمعوا قول عاصم، حيث قال بسرور واضح:

- كنا وفدًا من ستة: النعمان بن مقرن، والمغيرة بن شعبة، والأشعث بن قيس، وفرات بن حيان، وعمر بن معد يكرب، وأنا.. وبعد أن مكثنا ثلاثة نفاوض يزدجر حتى أيس من أن نعطيه سوى ما أعطيناه من الخيار، حتى أصرنا على الرحيل.

- أولم يطلب منكم البقاء؟

- أراد أن يستبقينا حتى يحضر رستم!

- ذلك القائد الفارسي الجديد؟!

- نعم.. فارس فرسان إيران.. وقائد جيوشهم.. ولكننا خيرنا يزدجر بين الإسلام أو الجزية أو الحرب.

- واختار الحرب. (قالها عمر بأسى).

- نعم، ولقد قال أبلغوا سعدًا بأني مرسل برستم ليدفنكم وإياه في خندق القادسية، وبعدها أدخل علينا عبدًا أسود يحمل وقرًا فيه تراب وسألنا عن سيد القوم.

- أوتقدمت أنت يا عاصم؟

- يشهد الله أنه لولا لمحت في عينيه الشر ما تقدمت على من معي.

بدت الدهشة على ملامح عمر وهو يسأل:

- وأمرك أن تحمل التراب؟!

أجاب عاصم بسعادة:

- ليس هذا فحسب، بل أمرني ألا ألقيه إلا بعد أن أخرج من باب المدائن.

تساءل عمر بلهفة:

- وماذا فعلت بعدها؟

تابع عاصم فرحًا:

- انطلقت لا ألوي على أحد خوفًا من أن يفتن للأمر.. حتى بلغت سيدي سعد، فأمرني أن أحمله لك!

- لك الله يا سعد.. لقد تم التسليم يدًا بيد إذن (وكان عمر انتبه فجأة، فسأل): أولم يُشَفَّ سعد بعد من مرضه؟

أومأ عاصم بأن لا.

بدا الإطراق على وجه عمر، إلا أن عليّ بن أبي طالب، صاح
مستبشرا:

- إذن فقد سلمنا هذا المليك مقاليد فارس.. يدا بيد.. الله
أكبر.

ضج المسجد بالتكبير، في حين تمتم عمر:
- ويل للملوك من المستضعفين.. ويل للظالمين من سطوة
الحق.

بسعادة، قال ابن عباس:
- لم تغن عن هرمز يومًا خزائنه
والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
التقطها عمر فتابع:
- أين الملوك التي كانت نوافلها
من كل أوب إليها راكب يفد؟
فأكمل علي بن أبي طالب فرحًا:
- حوض هنالك مورود بلا كذب
لا بُدَّ من ورده يومًا كما وردوا

بدا التأثر على وجه عمر، فاتجه للحاضرين بقوله:
- يا خلفاء الله في أرض الله، لا يمنعنَّ أحدكم مانع من أن
يقول اتق الله يا عمر.. فلا خير فيكم إن لم تقولها ولا خير
فيها إن لم نقبلها.. إلا أن رأيتم في أعوجاجًا، فقوموه.

فقام أحد الجالسين، مقاطعًا بحزم وصرامة:

- والله لو رأينا فيك اعوجاجًا لقومناه بسيوفنا.

استبشر عمر وهو يقول:

- الحمد لله الذي جعل في أمة محمد من يقوّم اعوجاج عمر بسيفه.

بدأ الجمع في الانسحاب رويدًا رويدًا، حتى لم يبق أمام عمر سوى علي وابن عباس وعاصم، ذلك الأخير الذي قال مستئنذًا في الانصراف:

- أولًا تأمرني يا أمير المؤمنين بأمر آخر؟

- أوصل رسالتي لسعد وأبلغه سلامًا من المسلمين جميعًا.

- أولم يأت أمر حول جند الشام؟

أشار عمر برأسه نافيًا، ثم قال:

- اللهم انصر جيش المسلمين ولا تخذلنا في أبي عبيدة.
اللهم وفق خطة خالد.

قالها وهو يتابع عاصم حتى غاب، ثم التفت إلى ابن عباس، وهو يقول:

- أولًا تشدنا من شعر أشعر الشعراء، من يقول «من ومن ومن»؟

- أوتقصد زهير مَن لا يماطل بين القوافي، ولا يتبع حواشي الكلام؟

تأمله عمر وقد سرّه أن قال رأيّه فيه قبل أن يجيب:

- نعم يا فتى الكهول.. ذو لسان سؤول وقلب عقول.

ردد عليّ بخشوع:

- صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

رددوها جميعاً قبل أن يبدأ ابن عباس في قول شعر زهير:

- فَإِنَّ الْحَقَّ مَقْطَعُهُ ثَلَاثٌ

يَمِينٌ أَوْ نِفَارٌ أَوْ جِلَاءٌ

فَذَلِكُمْ مَقَاطِعُ كُلِّ حَقٍّ

ثَلَاثٌ كُلُّهُنَّ لَكُمْ شِفَاءٌ

ابتسم عمر وهو يقول:

- هلا زدتنا يا ابن عباس، فقد اشتقت للشعر

ابتدأ ابن عباس:

- قَوْمٌ أَبَوْهُمْ سِنَانٌ حِينَ تَنْسِبُهُمْ

طَابُوا وَطَابَ مِنَ الْأَوْلَادِ مَا وَلَدُوا

فتابع علي:

- لَوْ كَانَ يَفْعُدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ

قَوْمٌ بِأَوْلِهِمْ أَوْ مَجْدِهِمْ قَعَدُوا

وأكمل عمر:

- إِنْسُ إِذَا أَمِنُوا حِينَ إِذَا فَرَعُوا

مُرَّرَؤُونَ بِهَالِيلٍ إِذَا حَسَدُوا

وتابع ابن عباس:

- مُحَسَّدُونَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ نِعَمٍ
لَا يَزَعُ اللَّهُ مِنْهُمْ مَالَهُ حَسَدُوا

بدا تأثر عميق على محيا عمر، وهو يقول:

- ما كان أحب إليّ لو كان هذا القول في أهل بيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم.

بدت السعادة على وجه علي وابن عباس اللذين تبادلا
نظرة فرحة، قبل أن يقول عليّ مداعبًا:

- ماذا تقول لأفراخ بذِي مَرَخٍ
زغبِ الحواصِلِ لا ماء ولا شجرُ
التقطها ابن عباس فتابع:

- ألقيت كاسبهم في قعر مظلمةٍ
فاغفرْ عليك سلامُ الله يا عمرُ
ثم تبادل الاثنان القول:

- أنت الإمام الذي من بعد صاحبه
ألقي إليك مقاليد النُّهى البشرُ
لم يؤثروك بها إذ قدّموك لها

لكن لأنفسهم كانت بك الأثرُ
فأمنُ على صبيةٍ مسكنهم
بين الأباطح تَعُشاهم بها القِرْزُ
أهلي فداؤُكَ كم بيني وبينهم
من عَرَض داويةً تَعْمَى بها الخُبْرُ

بلغ الضحك من عمر مبلغه، وهو يقول:

- ذاك الحطيئة أراح الله المسلمين من هجائه، لقد جاء
يقول لي حين قلت لأقطعن لسانه: والله يا أمير المؤمنين
لقد هجوت أبي وأمي وهجوت امرأتي، حتى هجوت نفسي.

ابتسم علي وهو يقول:

- ألم ترَ أن الله أظهر دينه

على كل دينٍ قبل ذلك حائد

غَدَاة أجال الخيل في عرصاتها

مسومةً بين الزبير وخالد

فأمسى رسول الله قد عز نصره

وأمسى عداؤه من قتيلٍ وشارد

ثم جال ببصره في الأرجاء، مردداً:

- اللهم أظهر دينك واهزم الروم وشرّد بهم.

وفي تلك الأثناء بالتحديد كانت تدور المعركة الفاصلة،
هناك.. على ضفاف اليرموك.

في ليلة قل أن وجود بمثلها زمن، ألقى قمر مكتمل توسط
جو السماء بخيوطه الفضية عبر نوافذ القصر الأبيض،
لترتمي في أحضان بساط بديع، فازدادت مقصورة «بوران»
حسنًا، ولقد جلست تتأمل الأنوار الفضية، فازدادت بها
سحرًا.

تبادلت ابنة كسرى مع ذاك الواقف أمامها، نظرات صامتة
قبل أن تعود لتأملاتها من جديد.

في حين بدا رستم مذهولاً مدققاً في اللوحة الفنية التي
ارتسمت أمامه، ولقد كانت في كامل زينتها، حيث انسابت
خصلات شعرها الذهبية على وجنتيها لتشكل مع وجهها
الذي يشي بلامح فارسية خالصة مزيجاً بارعاً وقد اتقنت
عينها البنيتان ذكاء وفطنة.

ساد صمت مشوب بحذر قبل أن يقطعه رستم، متسائلاً
برجاء:

- أولم تطلب مولاتي من مولاي يزدجر استبقائي؟

- لا مجال لحديث جديد يا رستم.. أنت تعلم أمر
الشاهنشاه.. ثم لمن نترك أمر المعركة التي تنتظرنا هناك؟

- للهريمان.. الفيرزان.. أوالجالينوس.. لأى من قواد فارس.
- ولكن يزدر أراأ رستم.. فارس فرسان إيران.
- راق لرستم الإطراء الأخير؁ فانتابه زهو موب قبل أن يقول برقة:
- بوران..الوضع معقد بالفعل.. المعركة ليست لصالحنا.
- بأ القلق على ميا بوران؁ فساءلت:
- أوانباتك نجومك أمراً؟
- قال رستم مغاللاً في واء واضح:
- أغتني رؤية القمر عن النظر إلى النجوم.
- أاولت بوران أن تظهر الغضب في لهجة تأرجحت بين الدلال والصرامة:
- رستم! أولا تقتصد من غلك؟!
- وهل يقتصد إلا فيما يرجى نفاده؁ وحسنك ليس كذلك ولا حي؟!
- أألم تتفق على أن تنتهي من هذا.. أونسي؟
- أفنسي أنت؟
- أطرت بوران ولأدت بالصمت؁ فاقترب رستم متابعا:
- أونسي ابننا فيروز.
- التقت عيناهما لوهلة وقد بدأ التأثير على ميا بوران؁

ولكنها سرعان ما استبدلت به لهجة غاضبة:

- رمز الخطيئة يا رستم.. سقطتي الكبرى.

نظرت إليه بعينين التمعت فيهما الدموع:

- لا بُدَّ أن تتناساها.

ثم تحولت لهجتها إلى الغضب وهي تتابع

- أزميدخت العمياء تلك، أشعر بنظراتها ترمقني ساخرة شامّة. (تحولت لهجتها إلى الأسى): بل يزدجر نفسه، أتعلم أنه قد قال لي حين أمر بإرسالك: لا بأس من بعض الصبر لأجل فارس.

- أونسى أننا من جنّا به؟! أو تناسى هذا...

قاطعته بوران محتجة:

- تأدب يا رستم حينما تتحدث عن ملك الملوك.

اكتست كلماته بهيام واضح:

- دعينا نضع ما مضى يا بوران، ولنبدأ عهدًا جديدًا من الحب والهوى.

بدأ يزيد في اقتراب خطواته، ولكنها استوقفته بكلماتها الهادرة:

- أو هذا موضع للحب وهؤلاء الغزاة على الأبواب؟

- الحب لكل زمان ومكان يا بوران.. لا تحدّه حدود ولا تؤثر فيه الأوضاع.

حاولت مستميتة أن تتماسك وتحول دفة الحوار:

- إني لأعجب كيف يهزم جنودنا أمام هؤلاء العرب الأجلاف.

هازنًا أجاب:

- أراك ترددين كلمات يزدجر، أولم تسمعي رسالهم أنهم مع اختلاف كلماتهم لكنها تنبض بالحكمة وتشع بالفصاحة.

ساخرة انسابت من فمها الكلمات:

- أراك تميل لهم.. بل لربما اتبعت دينهم قريبًا.

ثم تابعت متسائلة:

- أتؤمن بأن هناك جنة ونارًا. نعيمًا وعذابًا؟!

- أتعلمين متى أومن بهذا يا بوران؟ (بدا اهتمام وتحفز على وجهها، فتابع):

- إذا استبدل ربهم عذابه هذا بعذاب الحب.. لشد ما تكون جهنم قاسية إن كان هذا عذابها.

- لربما كان ربهم رحيماً، كما يقولون!

- إذن فلا تجمعيني علينا عذابين يا بوران.

بخفة التقط كفها الرقيقة بين كفيه وبدأ يقترب منها أكثر فأكثر، بدت لوهلة مستسلمة إلا أنها سرعان ما انتبهت، وقالت وكأنما تذكرت شيئاً ما:

- رستم، دفعته عنها بإصرار ورقة)، لأعدك أن أتزوجك إن دحرت هؤلاء الغزاة، (ثم استدركت مسرعة): بل إن آتيتني

برأس عمر.

- عمر؟!

نطق بها رستم جزعًا، فالتقطتها بوران لتنساب كلماتها
بدلال واضح:

- أمن العسير لهذا الحد أن نستعيد مجد فارس؟

- بوران.. أرجوك.. الوضع جد معقد.. اسألي يزدجر أن يرسل
غيري ليدخرنى لمعركة فاصلة.

متجلدة، حاولت بوران أن تبدو:

- الشاهنشاه يريد لها معركة فاصلة.

قال برجاء يائس:

- أتعلمين بأنني سأسير بالجيش في الصباح الباكر؟

شعرت بغصة في حلقها وحاولت أن تتجلد وتخفي التأثير
واللوعة، فلاذت بالصمت.

- إذن فلا أمل بوران؟

صمت مطبق لف المكان.

- وداعًا إذن مولاتي الملكة.

عادت بذاكرتها إلى سنوات مضت يوم جلست على عرش
فارس لشهور، ولكنها تفاجأت بنظرات الألم من رستم،
فحدجته بنظرة متسائلة، فبادلها نظرات تستنطقها برجاء، إلا
أن وجهها بدا محايدًا إلى حد بعيد، بينما ظلت عيناها تتابع

رستم الذي مضى.

في حين عجزت عن متابعة دورها، فانخرطت في بكاء صامت عميق، ما لبث أن توقف، إذ شعرت بشيرين تدخل عليها مستثناة:

- بوران.

أومأت برأسها لتأذن لها بالدخول، حيث تأملت شيرين الوجه الباكي، فتساءلت:

- أوتبكين مولاتي؟!!

أشارت بوران بوجهها أن لا.

- أومضى سيدى رستم؟

أجابت بوران بجلد مصطنع:

- نعم يا شيرين لقد مضى إلى القادسية.. سيخرج الجيش غدًا.

بأسى تساءلت:

- الحرب من جديد؟

فأجابت بوران بمثله وقد نفذ الجلد:

- وهل لنا غيرها؟

- نعم مولاتي لنحقن الدماء ولنحفظ مجد فارس!

- أتعودين لحديثك هذا يا شيرين؟ ألا تعلمين من نقاتل؟ يريدون لنا أن نخرج من ديننا.. أو ندفع لهم أموالنا.. أو

يقتلوننا!

- ألا تكوني منصفة يا بوران؟! وهل يقاتلوننا إلا أننا نمنعهم من نشر دينهم ببلاد فارس؟ ألا يقاتلوننا ليدفعوا الظلم عن بني جلدتنا؟ لكني ليحزنني أن غير أهلنا يريدون بنا الخير ما لم نرده لأنفسنا!

مستنكرة قالت:

- أتسمين السوقة من الناس ببني جلدتنا؟

- ألم يخلقنا الله جميعًا بشرًا؟

- أنا بنت كسرى، مثلي كمثلي السوقة من أهل فارس؟ بدا الزهو على محيا بوران.

أجابت شیرين بهدوء:

- كلکم لآدم وآدم من تراب.

محاولة التملص، قالت:

- ولكنهم يريدون أن ينشروا دينهم بحد السيف!

- لا إكراه في الدين.. لو أقمنا العدل في ربوع فارس وتركناهم ينشرون دينهم ويدعون الناس إليه ما قاتلونا.

- إذن يساوون بين السادة والعيبد.. ليتبعنهم السوقة والعوام؛ حينها ويضيع ملك فارس.

- وهل قام ملك على ظلم؟!!

شعرت بوران بضعف موقفها، فقالت بلهجة بين الجد

والهزل:

- ما رأي دينك في الحب يا شيرين؟ أيؤمن به؟!

- أوقام دين الإسلام إلا على مثل هذا؟ إن ديني يدعو لسمو الروح عن المادة، وهذا هو جوهر الحب.

- وهل ما بيني وبين رستم يحرمه هذا الدين؟ باهتمام حذر ألقت بوران بسؤالها.

- العاطفة السامية تجد مكانها في هذا الدين متى التزمت بحدودها المشروعة.. فإذا ما خرجت عن ذلك... صمتت مترددة لوهلة.

- أتقصدين فيروز؟

- نعم يا بوران، يؤسفني قول ذلك، ولكن تلك هي الحقيقة.. مبادئ هذا الدين والخلق سواء بسواء، بل هي نفسها الفطرة التي فطرنا الله عليها.

مؤكدة، قالت بوران:

- ولذا أجد مثل هذا الضيق في نفسي، ولهذا لا أجد لي مكانًا بين الأسوياء!

- لا يا بوران، يظل الله مع خطايانا، رحيماً بعباده، ثم إنك إن أسلمت يجب إسلامك ما قبله.

- أسلمت؟! أو مثلي يسلم؟ أدع دين فارس وأضيّع مجد إيران؟

- أتظنين أن المسلمين يضيّعون هذا المجد؟ جد واهمة

أنتِ يا بوران، بل سينقونه مما لحقه من ظلم ويعيدونه
نقيًا خالصًا، وحينها سيكون مجددنا أي مجد. ما رأيك يا
بوران؟

تساءلت بلهفة. لم تجد إجابة حاسمة، فلاذت بالصمت،
ومع أنها شعرت براحة عجيبة تدفعها لقول شيء لكنها أبت!

اشتدت الرياح في يوم عاصف شديد الوطأة قرب نهر
اليرموك، في حين اجتمع أمراء جند جيش الشام في خيمة
قائد الجيش أبو عبيدة، وقد لاح في الأفق اقتراب المعركة،
إذ بدأ الحذر في الظهور على الوجوه القلقة، ولقد تأمل
خالد بن الوليد الوجوه قائلاً بزهو:

- الآن اتضح كل شيء يا أمراء المسلمين.. لقد خدعنا الروم
الليلة الفائتة، فحين سرنّا إزاء السهل ظنوا أننا سنحتل
المكان، فسبقونا إليه.. هم الآن في السهل.

مرر خالد إصبعه على الرقعة التي تصف ملامح المكان
وهو يتابع:

- هم الآن تحديداً بين وادي العلان، ووادي الرقاد، ثم
أردف منتشياً، والنهر.. نهر اليرموك.

تهلل وجه عمرو مستبشراً وهو يقول حذراً:

- إذن فلا مجال!

أوماً خالد موافقاً كلماته، ثم قال وعيناه لم تغادران
الرقعة:

- ليس لهم إلا أن يجتازونا أو يهوا في الياقوصة حيث
يسقطون هناك.

ضاعف من تأملاته في الرقعة، ثم شرد ذهنه وهو يردد:

- إني أرى مصارعهم الآن.

قلّب بصره الحائر بين أمراء الجيش وهو يقول بشرود
واضح وتناغم مع الرقعة:

- يا أمراء الجيش هذه هي المكيدة، ولا أريد منكم إلا
الصبر.

- وما لنا ألا نصبر في سبيل الله. متحمساً قالها أبو عبيدة.

ردد يزيد بن أبي سفيان بخشوع:

- {وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ
الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ
الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل
لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا}.

أردف معاذ متأثراً:

- اللهم اجعلنا نصيراً لمن لا ناصر له!

بتأثر نطق خالد:

- لقد ابتعثنا الله، وما أتى بنا من صحراء الجزيرة إلا أن هؤلاء الروم عثوا في الأرض الفساد.

في مصر تجدهم يسومون القبط خسفًا، ليدلوا دينهم ويفتنوهم فيه، وفي إيليا لا يراعون للأرض المقدسة حرمة، وهنا في الشام كما ترون واقعًا.

قال يزيد مصدقًا:

- أولم ترَ ما فعلوه بأهل المدن التي تركناها.. في كل يوم مظلمة ومفسدة.

تابع خالد

- والآن لا سبيل إلا هذه المعركة.. فلا يقولن أحدكم ما أكثر الروم وأقل العرب، إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان.

- ألهذا قسمت الجيش كراديس؟ تسأل أبو عبيدة.

فأجاب خالد متفهمًا: نعم.. الكراديس تزيد عددكم في أعين عدوكم، وتجعلكم تنافسون في قتال عدوكم.

- ولكن!

حيرة حقيقية تلك التي بدت على محيا يزيد، فأدرك خالد ما يعنيه، فقال:

- اعلم يا يزيد، فلقد سحبت ستة كراديس من كراديسك العشرة في الميسرة، وكذا فعلت معك يا عمرو في الميمنة.

بدا تساؤل حائر على وجه عمرو بن العاص، فقال أبو

عبيدة:

- ولقد أخذ أبا سليمان اثني عشر كردوسًا من كراديس القلب، ولم يبق لي إلا ثمانية.

انقلبت الحيرة على وجه عمرو إلى غضب هادر وهو يقول:

- أربعة وعشرون كردوسًا يا خالد؟

أجاب خالد بتفهم وروية:

- أجل فلقد أرسلتهم إلى الشمال والجنوب.

تساءل يزيد بحيرة لا تزال مرتسمة على محياه:

- وإذا كانت المعركة هنا، فلم ترسل بأكثر من نصف الجيش هناك؟!

قاطعه خالد بحزم:

- أي قول هذا يا أمراء الجيش؟! فإن تركنا للروم معبر وادي الرقاد شمالاً ومعبر وادي العلان جنوباً، فأين الحصار إذن؟!

بدأ عمرو لوهلة يدرك الأمر، ولكنه أتبعه بتساؤل حائر:

- أتخشى أن يهربوا؟

- ليس هذا فحسب. عاد يشير إلى الرقعة أمامه. لو خرج الروم من الحصار وجاءوا بمدد من الوجهين لالتفوا على جيشنا، وحينها تنقلب كل الموازين.

تأمل الجميع حركة يد خالد على الرقعة، وبدأت ترتسم

في أذهانهم حقيقة المأزق الذي يتحدث عنه، وبدا ذعر حقيقي يرتسم على محيا عمرو:

- تَبَّ.. ولكن ماذا يفعل الروم الآن؟

تفرّس خالد في قسمات وجه عمرو المذعورة وهو يقول بزهو:

- لو بقي لدى الروم عقل، فما أراهم يعتمدون على جندهم، ما في وسعهم إلا أن يرسلوا فرسان العرب ليحاولوا أن يزحزحونا.

عادت الحيرة من جديد لملامح يزيد، الذي قال: والحل؟!

- ويحك يا يزيد! فماذا يفعل أربعة وعشرون كردوسًا في الشمال والجنوب.

بدا إعجاب واضح يرتسم على وجه أبي عبيدة، وهو يقول بزهو:

- الله الله يا سيف الله!

ثم استعاد ذهنه يوم مؤتة، فردد كلمة النبي -صلى الله عليه وسلم- يومها ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله.

تسأول ما طرق ذهن عمرو، فقال:

- ولمن عقدت على الكراديس يا خالد؟

- لعبادة بن الصامت، وعمير بن سعد في الشمال، وسعيد بن عامر في الجنوب.

- ثلاثة من الأنصار؟! -

فقال أبو عبيدة بإدراك كامل:

- من قرابة فرسان العرب لدى الروم.

ابتسم خالد وهو يومئ برأسه إيجاباً، وسرّه أن فطن أبو عبيدة للأمر، ثم عاد ليتأمل الرقعة التي ارتسمت أمامه من جديد.. يتأملها بعمق.

زحف الليل بطيئاً مثاقلاً على مدينة الرسول -صلى الله عليه وسلم- وإن آوى عمر إلى فراشه، إلا أن النوم كان غنيمة صعبة المراس، وهدفاً بدا مستحيلاً في تلك الليلة.

وقد جلس الفاروق يهتمهم بدعوات غامضة، قبل أن تفاجئه عاتكة بصوت حانٍ عذب:

- أولاً تنام يا أمير المؤمنين؟! -

نظر إليها نظرة خاوية، قبل أن يعود ليرجع بصره في الغرفة، ثم أطرق صامتاً.

- ولكنك لم تتم الليلة الفائتة أيضاً.. إنك تلقي بنفسك إلى التهلكة يا عمر.

نظرات خاوية ألقتها قبل أن ينطق بأسى:

- ويح عمر إن لم يغفر له رب عمر! (بحيرة حقيقية تابع)
إن نمت بالنهار ضيّعت الرعية، وإن نمت بالليل ضيّعت
نفسي!

- ولكنك لم تكمل صلاتك هذه الليلة.

- صلاتي؟!!

نظر متسائلاً وتابع:

- والله لا أدري أصليت نصفها أم ثلثها! إني لأفتح السورة
فلا أدري في أولها أنا أم في آخرها.

- حتمًا تظل هكذا يا أمير المؤمنين؟

أرسل بصره إلى اللا شيء:

- اللهم انصر جيش الشام!

- والله لن يخذلك الله وسينصر جيش المسلمين هناك.. ألا
تسمع عن ظلم الروم بأرض الشام وبأرض مصر؟ ما كان
الله لينصر قومًا فشا فيهم الظلم حتى يردنّ الناس عن
دينهم ويبدلن مذهبهم.

تأملها عمر وهو يقول بحيرة:

- أترين أني قد أقمت العدل حقًا يا عاتكة.. أم تراني خالفت
نهج النبي -صلى الله عليه وسلم- وخليفته؟

تنهدت تنهيدة عميقة قائلة:

- ما أراك إلا ستتعب من بعدك يا عمر. أترى أنك مثل

هرقل هذا، {أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَنْهَارٍ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ}.

عاد عمر يقبل بصره في الحجرة ويقول:

- أَنْتِ لَا تَدْرِكِينَ كَيْفَ حَالِ الْمُسْلِمِينَ.. الْفَرَسَ يَرِيدُونَ أَنْ يَهَاجِمُوا جَيْشَنَا فِي الْعِرَاقِ.

- أَفِي أَمْرِ الشَّامِ نَحْنُ، أَمْ فِي أَمْرِ الْعِرَاقِ؟!

- أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَا تَدْرِكِينَ شَيْئًا.. لَوْ انْتَصَرَ الرُّومُ فِي الشَّامِ لَمَا سِيرَتِ الْمَدَدُ لَأَرْضِ الْعِرَاقِ، وَلَأَكَلْنَا جَيْشَ رَسْتَمِ هُنَاكَ، وَلَسَأَلَ اللَّهُ عَمْرٍ: أَلَقِيْتُ بِالْمُسْلِمِينَ إِلَى التَّهْلُكَةِ يَا عَمْرٍ؟!

- وَهَلِ الْفَرَسَ أَفْضَلَ حَالًا مِنَ الرُّومِ؟! أَلَمْ يَرْفُضُوا أَنْ نَدْعُو النَّاسَ إِلَى دِينِ اللَّهِ حَتَّى لَا يَفْطِنَ النَّاسَ بِالظُّلْمِ وَيَطْلُبُوا بِالسُّوِيَّةِ؟! هَلِ يَفْلَحُ قَوْمٌ ظَلَمُوا بَنِي جَلْدَتِهِمْ؟! - أَعْلَمَ ذَلِكَ يَا "عَاتِك".. لَقَدْ أَلْقَى اللَّهُ عَلَيْنَا بَتْبَعَةً جَسِيمَةً مِنْ نَشْرِ دِينِهِ، فَإِذَا نَحْنُ بَيْنَ أَسْدِينَ يَمْنَعَانَا عَنْ ذَلِكَ (ثُمَّ كَمَنْ تَذَكَّرَ) أَتَعْلَمِينَ أَنَّهُمْ يَشِيعُونَ فِي النَّاسِ أَنَّا نَجْبِرُ النَّاسَ عَلَى الدِّينِ بِحَدِّ السَّيْفِ؟!

- لَا يَصْدُقُ مِثْلُ هَذَا الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ عَمِيَ اللَّهُ قَلْبَهُ وَعَيْنِيهِ عَنِ الْحَقِّ.. أَهْلَ الْبِلَادِ الْمَفْتُوحَةِ كُلِّهِمْ يَشْهَدُونَ بِعَدْلِ الْمُسْلِمِينَ وَسَمَاحَتِهِمْ، وَمَنْ كَذَبَ الْحَقَّ اسْتَحَقَّ أَنْ يَحْيَا فِي الضَّلَالَةِ.

نظر إليها عمر معجبًا وهو يتحرك خارجًا:

- لقد أجرى الله الحق على لسانك يا "عاتك".

تساءلت بلهفة:

- إلى أين يا أمير المؤمنين؟

- سأخرج لأعس الناس الآن.. رب جائع أو أرملة أو مسكين،
أخفف عنهم، عسى ألا يسألني الله غدًا أضيعت أمة محمد
يا عمر!

قالها ثم مضى وقد تبعته بنظرة قلقة، وهي تتمتم:

- لشد ما تتعب من بعدك يا ابن الخطاب.

اشتدت الرياح أكثر وأكثر، وارتفع الغبار ليلف أرض المعركة،
التي دارت عنيفة قوية بين صليل السيوف والتحامات الجند،
وبدأ يوم من أيام الله، شهد عليه نهر اليرموك.

لقد خلت خيمة أبي عبيدة قرب المضيق إلا من خالد بن
الوليد وعكرمة بن أبي جهل، ولقد وقف خالد يقول بحذر:

- وكما ترى يا عكرمة، عمرو بن العاص على اليمين، ويزيد
بن أبي سفيان على اليسرة، وأبو عبيدة ومعاذ في مؤخرة
القلب، بينما سعيد بن زيد وشرحبيل بن حسنة في مقدمته.

قاطعہ عکرمۃ بضیق: ونحن هنا؟

• هنا لنحرس المضيق.. هذا المضيق هو هدف الروم،
والله لا يجيزونه إلا مروراً على جسدي.

- ولكن القتال ليس هنا.. ولن يصل إلى هنا. (بضيق تابع):
ألا تدعني أنال الشهادة؟

- لأن تتصر لدين الله وترفع رايته خير عند الله من
الشهادة، إن الله لم يبعثنا لنموت، وإنما لنحيا ونحيي أهل
الأرض، فإن نلنا الشهادة فذاك فضل منه، لئلا نجبن عن
القتال.

- دعني من مثل هذا القول.. ودعني ألقى بنفسي في قلب
المعركة.

- أتنازعني الأمر يا ابن أبي جهل؟

انفجر عكرمۃ ثائراً:

- ما أراه إلا ابن عمك.. وما أرى الوليد بخير منه!

لكزه خالد في كتفه معتفًا:

- أبدعوى الجاهلية ندعو في يوم من أيام الله.. أولم
تسمع أمر أبي عبيدة بطاعتي؟ أم أنك ستخالف أمر أمير
الجيش أيضًا؟

- والله ما أرى إلا أن صدق أمير المؤمنين.

- وماذا قال ابن حنتمۃ أيضًا؟

- قال بأننا بنو مخزوم لا نستشهد.
- والله لأكذبنّ اليوم ما قال عمر.
- جاء صوت صارخ مستغيث، دخل بعده ضرار بن الأزور الخيمة، وهو يقول:
- لقد دخل في الميمنة أمة كبيرة من العدو.
- تأمل خالد الوضع لبرهة قبل أن يصرخ في جيشه:
- يا قيس بن هبيرة، انجد الميمنة بجند ممن معك.
- قالها ليرى الضحاك بن قيس قادمًا وهو يقول بذعر:
- زالت الميسرة عن المصاف يا خالد وركبت الروم أكتافنا.
- بخفة التقط خالد قلنسوته وأسرع بالخروج، وهو يصرخ بعكرمة:
- الزم مكاني يا عكرمة ولترسل إلى القعقاع بن عمرو.
- وانطلق خالد إلى الميسرة، في حين بدا صفير الريح يشتد، وتجلّى للعيان أن المعركة تزداد عنفًا.

كان مجلس أمراء جيش الشام يردد نظرات حائرة، وخالد يردد بفخر:

- لقد نجح عبد الرحمن بن أبي بكر في قتل ابن قناطر،
قائد ميمنة الروم، وقتل قيس بن هبيرة، الدنجار قائد
الميسرة.

قاطعہ یزید بن أبی سفیان قائلاً:

- يا أبا سليمان.. رماة الأرمن أحدثوا في المسلمين الجروح
وأصابوا عيون المئات.

قال معاذ بن جبل:

- أرى أن تنتدب لهم من المسلمين من يقاتلوا في سبيل
الله.

شارك عمرو قائلاً:

- الأمر جد خطير يا خالد، نحن محاطون بجنود الروم.

قال خالد مؤيداً:

- نعم، ولقد خرج الزبير مع جمع من صحبه ليمهد
الطريق إلى هناك.

بدت حيرة قلقة على محيا أبي عبيدة:

- وهل يكفى هذا؟ أرانا نحتاج كتيبة كاملة يا خالد.

قال خالد بعزم:

- لقد انتدبت بني مخزوم لهذا الأمر، ولقد أرسلت عكرمة
يأخذ البيعة من الناس على الموت.

دخل الزبير بن العوام مسرعاً، وقد أصيب إصابة واضحة

في كتفه، وقال:

- الأمر خطير يا خالد.. نحتاج لمن يقاتل حتى الموت ولا مناص من ذلك.

تبعه عكرمة مهلاً:

- لقد بايعني عدد كبير يا خالد.

ارتسم البشر على محيا خالد وهو يقول:

- والآن اذهبوا، أمراء الجيش، إلى مواقعكم ولتزحف الميمنة والميسرة إلى الأمام ليدفعوا العدو وليتقهقر القلب.. فلتستدرجوا قلب الروم بعيداً عن التل.

مرر إصبعه على الرقعة ليوضح بدقة ما يقصد قبل أن ينصرف الأمراء، وقد بقي عكرمة، وقد توجّه لخالد ليقول بأسف واضح:

- سامحني يا أبا سليمان إن كنت قد أسأت إليك.

ربت خالد على كتفه وابتسامة عذبة مشوبة بالثقة ارتسمت على محياه:

- لا تثريب عليك يا عكرمة.. لتريني اليوم من بني مخزوم ما يحبط زعم عمر.

- أوتذكر حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- عن عزق لأبي جهل في الجنة.

دهش خالد لوهلة، فبدا التأثر جلياً على وجه عكرمة، وهو يتابع:

- إني لأمل أن أكون أنا هذا العزق يا خالد.

قالها ثم مضى وتبعه خالد ببصره وهو يغالب دمعًا
ترقرق من عينيه، قبل أن يلمح عمرو بن عكرمة، ذلك الفتى
الصغير ينطلق خلف أبيه، فتساءل بدهشة:

- إلى أين يا ابن عكرمة؟

- مع العزق الكبير يا أبا سليمان، فأنا العزق الصغير.

قالها ثم مضى لا يلوي على أحد.

اشتدت رحى الحرب، وتجلّى جيش المسلمين يتقدم، في
حين تناول خالد قلنسوته ملقيًا بنفسه في قلب الحدث.

تحرك سيف الله ما بين الميمنة والميسرة والقلب، وجاء
صوته حاسمًا من بين صفير الرياح، والظلام الذي خيم
على المكان.

وقد كان صوته مرشدًا ودليلاً:

- يا مسلمون، الصبر.. الصبر.. يا أهل الإسلام احملوا
الساعة.

ترددت كلماته مشعلة في نفوس الجيش رغبة النصر، وقد
اقتربوا منه، وقد بدا قطعًا دنيًا يسيرًا.

- يا بني الإسلام احملوا عليهم الآن.. إلى الياقوصة.. إلى الياقوصة.

كررها، وكلما تكررت ازداد اندفاع الروم نحوها، وبدؤوا في التهاوي والتهايي.

ومع طول المعركة لم ينقص عزم المسلمين شيئاً، فلقد ظلوا يدفعون بالروم إلى هناك وهم يتأملون السماء، حيث هناك في الأفق قد كان يبرز فجر.. فجر جديد.

obeikandi.com

سائر حائر يتردد بين آلاف التساؤلات التي ضج بها عقله.
يدور بصره فيما حوله قبل أن يرجع إليه البصر خاسئاً
وهو حسير.

ينتظر وينتظر لعل خبراً يُشرق في نفسه الأمل.. ولعل تلك
النسمات الحارة التي تلفح وجهه تعيد إلى روحه الحياة من
جديد.

كما هو.. لم تتغير حاله منذ أن علم بأن تلك المعارك
الدائرة في فتوح العراق توشك أن تنقصر في واحدة.

معارك السنين الفائتة بما فيها من انتصارات، اهتز كسرى
لها على كرسيه فرقاً، وبما تخللها من هزيمة يوم الجسر..
كل هذا تتوقف نتائجها على معركة ستدور رحاها هناك على
أرض القادسية ويقودها سعد.

ليل الفاروق لا يهنأ فيه بنوم.. تتقاذفه الأسئلة وهو ينقح
رسائل سعد كلمة كلمة، ليخلص إلى الدقائق والشوارد.

بل ونهاره كذلك يقضيه هائماً في الطريق المؤدي إلى
القادسية.. سائلاً الغادي والرائح حول الموقف هناك.

وكذا عقله لا يتركه يهنأ للحظة، وهو يلح في إصرار متسائلاً

عن نتيجة الانتظار.

يستدعي عقله أحوال جيش سعد المرابط هناك، بل سعد نفسه المحبوس الآن بقصر قديس يقاسي المرض.

تُرى هل سيرحّب تراب القادسية بجثث الأكاسرة، كما وأد تراب الشام من قبل جند هرقل؟

وهل ستزف الأيام المقبلة البشرى بنصر مؤزر كنصر اليرموك؟

وهل سيتهاوى جند يزدجر في ياقوفة العراق؟

بل هل هناك ياقوفة بالقادسية ليتهاوى إليها الفرس؟

ومن يدري؟! لربما قد تهاووا بالفعل، ومنذ زمن.

هناك في تلك البقعة النائية من أرض العراق، الباقية ما بقي الزمان، وفي لحظة نادرة ويوم خالد من أيام الله في أرضه.

دارت معركة فاصلة حاسمة، حسماً ندر أن وجود به تاريخ البشر إلا مرة في كل جيل، ولربما بخل فلا وجود.

ها هي جنود فارس قد أتت بخيلها ورجلها تنسم نسمات نصر باعده الزمن وواراه التراب واقتحمه فرسان العرب

القادمون من شبه الجزيرة، فانتزعوه من أيدي أبناء كسرى، بل ذهبوا بكسرى، فما عاد كسرى لفارس وما عاد لفارس من كسرى.

سعود العرب علت لتسامي النجوم، تلك التي يراها رستم كل ليلة فيوقن بأن «درفش كَبِيَّان» رايتهم العظمى توشك أن تسقط قريبًا.

ولكنه يخادع نفسه بأن ربما أتى أبناء إيران بالجديد ولكنه -والحق يقال- لا يجازف بهذا، إنما يأمل أن تنقلب تلك السعود نحوًا، ليعود جيش المسلمين إلى مليكهم عمر بالهزيمة، ويوءون بوزرها.

يأمل هذا كل ليلة، متأملًا النجوم، راجيًا أن تبدل ما أنبأته، ولكن يبدو أنها حسمت إرادتها منذ زمن بعيد، ولقد أرادت أبدًا جيش العرب.. جيش عمر.

- تبًا لكم من جنود، أما عاد لنا من فارس يكافئ هؤلاء العرب؟! -

قالها رستم صارخًا وهو يشهد سقوط فارس جديد من فرسانه، في المبارزة التي أراد المسلمون أن يبدؤوا بها المعركة.. وقد تجلّى أنها تتجه كليًا لصالح جيش المسلمين.

قال الفيرزان بهدوء:

- كل ما في الأمر أن هؤلاء العرب بارعون في المبارزة أيما براعة.

انفجر رستم غاضباً:

- وهل تفلح فارس وأولها فارس معفر في التراب؟!

ثم اتجه نحو رسوله إلى الجيش وهو ينادي بأعلى صوته:

- يا جند الشاهنشاہ.. اثبتوا وشدوا على بجيلة.

وكالبرق عصف ما يقارب من نصف جيش الفرس بتلك الفئة من جناح جيش المسلمين، وجن جنون رستم إذ رأى فئة عربية تدافع عن بجيلة ببسالة إثر أمر سعد لهم.

وقد استطاعت -نوْعاً- أن توقف من خطر الفيلة وتدفعها بعزيمة تلين لها الجبال.

- لقد أوقفوا ثلاثة عشر فيلاً! من هؤلاء يا جالينوس؟!

أجاب جالينوس قائده الثائر، وهو يتابع ما يلاقيه جيش الفرس من مقاومة:

- إنهم بنو أسد سيدي رستم.. إحدى قبائل العرب.

رد رستم بسخرية غاضبة:

- فكيف بالأسد إن كان هؤلاء له أبناء؟!

ثم تابع بحزم وصرامة وقد استفزه الموقف:

- إليهم يا جالينوس.. إليهم يا ذا الحاجب.. أييدوا بجيلة.

ثم تابع وهو يشير إلى المعركة العنيفة الدائرة عند تلك البقعة من جيش العرب:

- وأيبدوا هؤلاء الأشبال.. أيبدوا بني أسد!

اصطفت صفوف المسلمين خلف أميرهم عمر لصلاة الظهر بمسجد النبي -صلى الله عليه وسلم- بالمدينة، في حين ردد الخليفة تكبيرة الإحرام بخشوع وقوة، لتلقفها الصفوف من بعده، ليردها كذلك ولتنتقل عبر قوى لا تنتمي إلى البشر.. إلى هناك.

- إلى القادسية.

حيث ردها الليث سعد بن أبي وقاص، وهنا بدأت قوى البشر تسجل ما لم تسجله قبلاً من خوارق.

الحق يقال إن تاريخ العرب بطوله لم يشهد يوماً كالقادسية من قبل.

ويقال أيضاً بأن الفرس لم يلاقوا يوماً مثله في الحشد والقتال.. حتى عندما دحرهم الروم وعادوا من بعد غلبهم ليغلبوا، لم يتحفز أبناء كسرى ليوم أبداً كيوم القادسية.

لنصر طال انتظاره أتوا بقائدهم المظفر وفارس فرسانهم.. ربما لمر الهزائم التي ذاقوها في فترة وجيزة.. ومن يدري!؟

لكن ما يدركه الجميع أن هذا لهو يوم الحسم مع هؤلاء القادمين من الصحراء.. يوم ستقام بعده الاحتفالات في المدائن.. أو تسقط درفُش كَيَّان.. وإلى الأبد.

ربما لهذا أو لغيره اندفعت صفوف المسلمين ما إن سمعوا تكبيرة سعد الرابعة.. لتصيح في الآفاق بالله أكبر.. وتهاجم ذاك الجيش الفارسي بجنده ومشاته وفرسانه، والأنكى والأشد بتلك الفيلة التي جمعها رستم، ومع هذا تجد العربي لا يهابها ولا يخشاها، فيرمونها بالنبل ويهاجمونها فرادى وزرافات حتى أسقطوا أقنعتها وقتلوا حمائها وبدأ أن المعركة العنيفة متوازنة وإلى أبعد الحدود.

-نعمَ القوم بنو أسد!.. لقد ردوا هجوم الفرس وأنزلوا بهم.

قالها سلمان بفخر متأملاً المعركة، فقال سعد بعزم:

-ليت كل المسلمين اليوم بنو أسد.. لقد كانوا للمسلمين رداءً وحجاباً. ثم تابع مازحاً: أولاً تشفق على قومك اليوم يا سلمان مما يلاقونه؟!

نظر سلمان إلى المعركة ملياً، قبل أن يقول بصدق:

-لربما أشفق على من مات منهم ولم يبلغ الهداية.. ولكن إشفائي حقاً على من يحيون هناك في بلادي.. في أرض

إيران، حيث ذاقوا الذل ألوانًا على أيدي هؤلاء.. أشفق
أكثر على من يموت الآن في بلاد فارس قبل أن تبلغه شعلة
الهداية التي خرجت أتسمها منذ سنين.

ثم نظر إلى سعد وقد بدا أن عيني سلمان اغرورقتا
بالدموع:

- سننتصر اليوم يا سعد بإذن الله.. وحينها سأعود إلى بني
قومي مبشرًا، وسيرى حينها المسلمون جميعًا كيف تكون
فارس في ظل العدل والإسلام.

ثم وكأنما يغير دفة الحديث:

- أولًا تنتقل إلى مكان آخر يا سعد.. هذا القصر ليس
بالآمن، ولو أعراك الصف فواق ناقة لأخذت.

قال سعد بألم:

- أيا ليت البلقاء تحملني! أولًا تسمع ما يشاع من أني
جنت؟! لا أتحرك حتى يأتي أمر الله ولو أخذت.

أومأ سلمان برأسه موافقًا، ثم سأل باهتمام باد:

- أولم تأت أنباء عن مدد الشام؟

تأمل سعد المعركة وهو يقول حالماً:

- ليته يحضر ذلك المدد. ثم أردف بثقة: ويل للفرس من
الققعاع إن قدم!

تأمل رستم ذلك الفارس العربي الذي ظهر يطلب المبارزة،
ولقد عزم رستم على أن ينهي المبارزة سريعاً اليوم، فقال
بحسم :

- لا يخرجنَّ إليه أحد من فرسان فارس.. لأرمينَّ هذا
العربي بمن يُعلمه بأن أبناء فارس ليس كمن لاقاهم من
جند الروم يوم اليرموك.. هلم أشد العرب على العجم..
إليه بهمن جاذويه.. هيا يا ذا الحجاب.

وخرج ذو الحجاب للقتال، جبل لجبل في صراع قد يحسم
كثيراً من معركة اليوم.

كان مظهر بهمن جاذويه رهيئاً، بوجه كئيب وحاجبين كَثِين
انسدلا حتى كادا يحجبان النظر عن عَيْنين اتسعتا لتشمل
الموقف بأكمله.. وتوحي برعب خفيٍّ في وجوه أعدائه.. ولقد
كان يحمل فخراً لا يحمله أي من فرسان فارس، فهو قائد
نصر الجسر، النصر الوحيد للفرس في العراق -حتى الآن- كل
هذا وغيره أهله ليواجه ذلك العربي القادم قريباً من قتال
الروم.

لهذا أو لغيره كان ذو الحجاب يؤمل كثيراً على النصر في
تلك المعركة، ولكن يبدو أنه قد غفل عما يواجهه، فأمامه
مباشرة كان يقف رجل في القتال بألف.

أمامه كان يقف القعقاع.. القعقاع بن عمرو التميمي.

تساءل القعقاع بحزم عن هوية مقاتله، الذي أجاب بقوة
وفخر :

- أنا ذو الحاجب بهمن جاذويه.

والتقط القعقاع إجابته ليردد بصوت خير عند النزال من ألف رجل:

- الله أكبر.. ياشارات أبي عبيد وسليط! ياشارات أصحاب الجسر! وأردف الجيش المسلم كله التكبير واهتز ذو الحاجب وهو يرى القعقاع ينقضّ عليه كأسد كاسر جريح.. وهذا يعني أن بهمن جاذويه قد صار ماضيًا! فما كان إلا أن تبادلا ضربة، فثانية، حتى خر بعدها ذو الحاجب صريعًا، واندمج جيش المسلمين بعدها في التكبير بنشوة عارمة.. ودارت الملحمة.

تأمل سعد من موضعه بقصر قديس ما يدور من مبارزة على أرض المعركة، قبل أن يسأل سلمان:

- أوليس هذا هو الفارس التاسع والعشرين الذي يقتله القعقاع؟!

نظر إليه سلمان وهو يقول بابتسامة مشرقة:

- نعم، فلقد بقي فارس واحد ليبر القعقاع بقسمه.

أشار سعد إلى المعركة وهو يقول بقلق متزايد:

-ألا ترى كيف انتظم جيش الفرس اليوم؟! ثم نظر إلى اللا شيء: لا أظن أن اليوم سيمر بسهولة.. مرأى هذه الفيلة يثير الرعب.

انتقل القلق لسلمان فتساءل:

-أولم تخبر القعقاع بشأنها؟!

أوماً سعد إيجاباً:

- ولقد أخبرني واثقاً بأنه سيجعل للعرب فيلة كما للفرس فيلة.

- فيلة للعرب!

نطقها سلمان حذرًا، قبل أن يلتفت كلاهما للمعركة الدائرة، حيث ألقى القعقاع بسيفه واحتضن الفارس الفارسي بترسه، ولم يتركه إلا ذبيحًا كشاه، قبل أن يكبر تكبيرة ارتج لها جيش فارس، ليتبعها سعد بتكبيرة أخرى، وبدأت تدور رحى الحرب.

وعنت هذه المرة موتًا.. أو حياة.

شكّل الصراع في هذه المعركة وضعًا فريدًا تعجز عن وصفه الكلمات، فقد التحم الجيشان التحامًا عجبًا، وكأنما أراد جند الفرس دحر عدوهم إلى المدينة، وكان جيش العرب يسعى إلى نقل المعركة إلى المدائن، وفي مثل هذا الوضع النادر تعني بقعة من الأرض الكثير، ويعني الحفاظ عليها مزيدًا من القتل والجرحى.

وإن بدت المعركة متكافئة، وإن مالت في بعض مراحلها لصالح العرب قليلًا، إلا أن ما حدث قد قلب الأوضاع رأسًا

على عقب.

وكأنما برزت من العدم، ظهرت كتيبة سلسلة من قلب جيش الفرس، وكأنما أدركوا للتو أن المعركة لا بُدَّ أن تُحسم اليوم.

تقدمت بإصرار ككتلة متماسكة من المعدن، صوب قلب الجيش العربي. وما إن بدأ جناح الجيش في محاولة يائسة للتطويق حتى كانت الكتيبة قد انقضت على الميسرة، وبدأت الميسرة تواصل رحلة القلب في التراجع، واتضح لوهلة ما يعنيه الأمر، فتلك الكتيبة إنما أرادت القصر.. قصر قديس.. أو بالأحرى أرادت أن تنهي المعركة بنصر نهائي.. ولفارس هذه المرة.

اجتاحت النشوة رستم وهو يتابع ما تقوم به تلك الكتيبة، حيث واصلت تقدّمها نحو قصر قديس، وشعر لوهلة -وهو يرفع بصره علّه يجد في كبد السماء نجمًا شاردًا يسأله- بأن الموقف قد اختلف.. تمامًا.

ها هي المعركة يعاد صياغتها من جديد.. وها هو القصر يلوح في الأفق.. بل ها هو التاريخ يوشك أن يكتب اسمه في سجل قواد المعارك المنتصرين.. عاد ليتأمل ما آل إليه الوضع، وفجأة بلا أي مقدمات ظهر فارس ملثم يرتدي

السواد من أقصى ميسرة جيش المسلمين، لينقضّ بقوة على ميمنة جيش فارس، حيث أنزل بهم النوازل، قبل أن ينتقل إلى الميسرة فيعيد فيهم الكرّة، وظل كشعلة من لهب ينتقل بين الميسرة، فالميمنة، والقلب، مُنزلاً فيهم القتل والجرح، ومع ما أشاعه في صدور عدوه من رعب إلا أن الكتيبة المسلسلة وكأنما قد انفصلت منذ زمن بتمامها عن الجيش، بل عن المعركة، لتواصل تقدماً لا يردعه رادع. وبدأ أن التاريخ سيعيد تسطير صفحاته من جديد، قبل أن يظهر في الأفق ما قلب الموازين من جديد.. فقد كان في هذا اليوم للعرب فيلة.. فيلة عربية.

اهتز كورق شجر في يوم عاصف مهيب.. كطائر بلله الندى ليدرك أن الذي علاه بالدرة منذ لحظات، بدت له كدهر، هو عمر.

طالعه ابن الخطاب بوجه غاضب مزمجرًا:

- لا تمت علينا ديننا أماتك الله.. إذا قلت فأسمع وإذا مشيت فأسرع.. قالها ثم التفت إلى ذلك الذي كان يسير جواره:
- ما لي أرى على محياك الغضب؟! أولست مثله تمشي الهوينى وتزعم النسك؟!

بدا الغضب على محيا الرجل وهو يلوح جمعًا من الناس
تجمهر حول الموقف، بينما تابع عمر بصوته الجهوري
مخترقًا خلجات الأنفس:

- إني لأعلم بغضبك.. وأعلم أنك لوددت لو قلت: وما لي
لا أغضب له وهو أخي في الدين! أفلا أغضب له! أفقول
الله {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ} وتقول أنت
هذا أخي وهذا ليس لي بأخ؟!

ثم التفت بقوله إلى الجمع المتجمهر:

- بَلَعْنِي أَنْتُمْ تَتَّخِذُونَ مَجَالِسَ، لَا يَجْلِسُ اثْنَانِ مَعًا، حَتَّى
يُقَالَ: مِنْ صَحَابَةِ فُلَانٍ، مِنْ جُلَسَاءِ فُلَانٍ حَتَّى تُحْمِيتِ
الْمَجَالِسُ، وَأَيْمُ اللَّهِ إِنَّ هَذَا لَسَرِيعٌ فِي دِينِكُمْ، سَرِيعٌ فِي
شَرْفِكُمْ، سَرِيعٌ فِي ذَاتِ بَيْنِكُمْ، وَلَكِنِّي بِمَنْ يَأْتِي بَعْدَكُمْ يَقُولُ:
هَذَا رَأْيُ فُلَانٍ، قَدْ قَسَمُوا الْإِسْلَامَ أَقْسَامًا، أَفِيضُوا مَجَالِسَكُمْ
بَيْنَكُمْ، وَتَجَالَسُوا مَعًا، فَإِنَّهُ أَدْوَمُ لَأُفْنِكُمْ، وَأَهْيَبُ لَكُمْ فِي
النَّاسِ.

بدا الارتياح على الوجوه، قبل أن يسأل هذا الذي خفق
بالدرة منذ لحظات بشماته بادية:

- وكيف فعل جيش سعد الآن؟ لقد طال أمد المعركة
على ما يبدو!

كان سؤاله كشرارة اتقد لها عقل عمر، ليعود ليلتفت إلى
شغله الشاغل وهمّه المقيم.. هناك حيث معركة تدور
رحاها ليومها الثالث، وإن وافته أنباء عن فرار لفيلة فارس

ودهسها لفئة من جيش رستم قبل أن تولي وجهها شطر المدائن.

كان يعلم أن المعركة الآن بوضع أفضل، ولكن قلقاً مبهمًا زائله متخماً عقله بعشرات التساؤلات، ومع هذا أجاب بثقة: - سيأتي رسول سعد ليخبرنا اليوم بإذن الله.

قالها ثم عاد يفكر فيما يدور هناك.. على تراب القادسية.

غالب رستم دموغًا مارقة، أبت إلا أن تغادر مقلتيه، فأطبق جفنيه بإصرار، وقد اكتنفه حزن دفين وهو يتابع صفوفه المهلهلة وجيشه الممزق.

ثم عاد ذهنه يسترجع أحداث اليومين السابقين، فمنذ أن قتل المسلمون فيليّ المقدمة وهرب باقي الفيلة وهو يعلم أن المعركة قد حادت عن النهج الذي رسمه، وبدأت تنحى منحى جديدًا.

فلقد دارت المعركة يومها، وجيش فارس قد زاغت منه الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، وهم يظنون الظنون، بتكبيرات ثلاث سمعوها من خلف جيشهم هذه المرة.

ولقد استمر القتال ليلاً، حيث غير رستم نهجه في تلك الليلة، فزحف بجيشه كله مستعيدًا ذكرى الكتيبة المسلسلة،

ولقد كانت ليلة من ليالي التاريخ، حيث انقطعت الأخبار
عن سعد كما انقطعت عن رستم، وقد تناهى إلى مسامعهم
صليل السيوف ملتحمًا مع صرير الريح.

- سيدي رستم.. أدرك الجيش.

مزقت عبارة هرمز خيوط أفكار رستم التي كان ينسجها
طويلاً، فنظر بغير اكتراث متسائلاً:

- ماذا حدث يا هرمز؟!

- لقد أحدث جيش المسلمين ثغرة في جيشنا يا سيدي!
أجاب رستم بابتسامة ساخرة:

- وما الجديد وجيشنا كله مليء بمثلها؟!

بدا الرعب على محيا هرمز وهو ينطق بأسى:

- في القلب سيدي رستم.. كتيبة عربية كاملة مزقت صفوف
القلب وتتجه نحونا.

كان جليًا أن قوله لم يحرك ساكنًا من رستم، الذي قال
بيأس:

- هل لي أن أسألك طلبًا يا هرمز؟

قال هرمز بصدق:

- بل أمرًا لا طلبًا سيدي رستم.. فأمرك مطاع.

ارتسمت ملامح الارتياح على محيا رستم، لتختلط بالإرهاق
الجلي على وجهه، وهو يخلع خاتمه ويمد يده إلى هرمز،

قائلاً برجاء:

- لتنتلق الآن ولا تلوي على أحد.. ولتمنح سيدتك بوران هذا الخاتم، ولتقول لها... (صمت لحظات متردداً) قل لها لتحفظه مع وديعتي عندها.. (غالب رستم دموغاً ثائرة) وقل للشاهنشاه إن رستم قد مات في سبيل فارس.

قل له لتقيم العدل وتساوي بين أهل فارس، ولن يبلغك هذا الجيش ولا يدركك وإلا... (صمت مرة أخرى) وإلا ليملكن أولئك العرب أطراف إيران. قل له هذا يا هرمز ولتنتلق الآن.

وانطلق هرمز وقد اختفى في الأفق، تاركا رستم مسترجعاً قول هذا العربي الذي لاقاه في الطريق:

- إنك تجادل القدر يا رستم.

هنا هبت رياح عنيفة أخمدت النيران المشتعلة قرب مجلسه، وتجلّى أن درفش كُبيّان ستسقط.. وإلى الأبد.

-اللهم نصرًا كنصر اليرموك.

يردها قلبه خاشعًا وقد قلب بصره في الطريق علّه يجد
طيّفًا حاملًا بشرى النصر.

بشرى قد وجد ريحها وينتظر خبرها.

تراه يتحيّن القادم من أرض القادسية، وكأنما هو آخر أمله
في الحياة.

يلهج إلى الله بدعاء فريد وعين خاشعة، سائلًا النصر
طوال ليله.

ويتأمل الصحراء وقد ألهبه شعاع الشمس ولفحه القيظ في
يوم عسير، جد عسير.

كل صباح تبصره هناك لا يلوي على أحد، ولا يعنيه في شيء
ما لاقاه من عنت.. إلى أن رآه من بعيد.

فارسًا انطلق جواده في زهو لا يحمله إلا منتصر.

وبشرى تكاد ملامح وجهه تزفّها جلية واضحة، كشمس
مزهوة في صباح جميل.

ولكن كلمة ينطقها فمه هي أقصى أمله ومبلغ غايته.

-هل لك أيها الشيخ أن تخبرني أين أجد أمير المؤمنين؟

-بربك ماذا فعل المسلمون في القادسية؟

يستقبل خبر النصر، فيكاد قلبه أن ينبض بكلمات الحمد والشكر لله على نعمائه، ويصطحب صاحب البشري إلى حيث التف حوله الناس، مرددين همهمات تجلّى بعدها للفرس شأن الرجل.

فتراه ترجل يراقب ذاك الذي اكتسى برداء ملأته الرقع، ذاك الذي دحرت جيوشه جند فارس وأذاقت الروم الويلات. فلقد أدرك الفارس لوهلة أنه في المكان الذي قلب موازين الدنيا وغيّر نواميس الكون، إنه في البلاط.. في بلاط الخليفة.

الخليفة الذي انطلق بذهنه إلى بلاد الشام، ولقد أدرك أنه قد حان موعدها.

فقد حان موعد الاستفادة الكبرى من ياقوطة اليرموك.

ولقد تذكر تلك التي تحيا فريدة في أحلامه الوردية.

متوّجة على عرشها، تنتظر أن تستخلصها جيوشه مما ألمّ بها من ألم.

رقية ساحرة هي!

جد مثيرة وهي ترفل في ثوبها الوردي.. ذاك الذي يرفرف مع نسيمات الهواء.

تداعب أشعة الشمس فتتوارى تلك الأخيرة خجلاً وحياء.

فاتنة هي؟

قطعاً فاتنة، وإلا لما شهرت من أجلها سيوف ولا دارت
رحى الحروب والمعارك وسالت الدماء، بل واهتزت العروش
وسقطت الممالك.

شابة وإن امتد عمرها لسنين طوال.

حمامة مقدسة ترفرف باسم السلام وتنشده على أرض
قاسية.. جد قاسية.

تلك الشامخة التي تحتل إحدى أجمل بقاع الدنيا، مزدانة
ساحرة تطل على البلاد والعباد.

تحتمي بجمال راسخات، بل تنبض كقلب فتى بين البلدان.

تكتسي بحكمة السنين وتستمتع لآهات المكلومين، قبل
أن تبصر بأعين حزينة شمساً تشرق على جبال الزيتون كل
صباح.

نعم إنها هي.

القدس.. شجرة الزيتون المقدسة وأسطورة السنين

-ولكني كنت سأقتله بالفعل!

رددها عقله بأسى وكأن كل ما أحاط به يتوقف على تلك النقطة.

مع الإضاءة الخافتة التي لفتت الغرفة، ومع وقع خطواته القلقة الرتيبة التي جاب بها المكان ذهابًا وإيابًا، بدا الأرطبون في هذه اللحظة تحديدًا مخيفًا بحق.

عينان أضناهما السهر، ومع ذلك ما زالتا محتفظتين بنفس البريق.

بريق غامض محير يلح بإصرار أن ذكاء هذا الرجل ليس عاديًا بحال!

لكنه الآن قد صار يؤمن يقينًا بأن هناك قوى تعانده!

قوى خفية هي؟ ربما!

لا يعرف تحديدًا ماهيتها، لكن ما كان واثقًا منه أنه يكره ذلك العربي كراهة الموت ذاته.

مع كل ما ألمّ بجيشه، بل وبهرقل نفسه، من إخفاقات على يد هؤلاء العرب، إلا أنه اختص ذلك العربي بكراهية خاصة!

عمرو.. ذلك الداهية الذي يحاصر الآن إيليا بإصرار وعناد، وقد أوشك أن يفتحها.

-اللعنة! لم لا تعترف أيها الأحمق أنه خدعك ومارس عليك الأعيبه، التي تقبلتها كغر ساذج.

- روما كلها تتندر الآن بذلك الأحمق الذي رَوّضه أعرابي قادم من جزيرة العرب.

كان يخاطب نفسه، بينما ضرب بكفه اليمنى على باطن كفه اليسرى في حنق.

لا يعلم حتى الآن كيف خدعه عمرو، فلقد كان قد أرسل له من يقتله، إذ علم يقينًا جرّاء محادثته أن محادثه هو العقل المدبر لجيش العرب.

لربما شكّ لوهلة أنه عمرو بن العاص نفسه، لكنه استبعد هذا الهاجس تمامًا حينما رأى العربي قادمًا من جديد بنظرة واثقة وابتسامة -يلح أثرها على ذهن الأربطون بكرة وعشيًا- ارتسمت على وجه عمرو، بدأ حديثه مستأذناً:

-قد سمعت مني وسمعت منك، فأما ما قلته فقد وقع مني موقعًا، وأنا واحد من عشرة بعثنا عمر بن الخطاب مع هذا الوالي لنكاشفه ويشهدنا أموره، فأرجع فأتيك بهم الآن، فإن رأوا الذي عرضت مثل الذي أرى، فقد رآه أهل العسكر والأمير، وإن لم يروه رددتهم إلى مأمئهم وكنت على رأس أمرك.

-هل كنت بعقلي حقًا حين أرسلت أن أبطلوا ما أمرت. (ارتسمت ابتسامة خاوية على محيا الأربطون وهو يتذكر) لقد أمرتهم ألا يقتلوا عمرو.. أنا قلت لهم بلساني ألا تقتلوا عمرو.. دعوه يمضي في سلام كي يتم حصاره ويتسلم إيليا. ألا أيها المخدوع الغرير صبت عليك اللعنات.. انطلت

عليك حقًا ابتسامة عمرو المعسولة وطمعت أن يسلموك
تسعة آخرين لتذبحهم ذبح الشياه؟!

كان يؤنب نفسه بعنف، وقد واصل كَفّه مهمته بدأب، في
حين توقف عقله عن التفكير سوى بعمرو.. ولقد بدا لوهلة
خاويًا.. تمامًا.

-ولكنّ المسلمين بخير!

هذا ما يهمه ويعنيه الآن!

فليعالج عمرو حربه الكؤود الصدوم كيف شاء، لكن فصل
الخطاب أن المسلمين بخير!

لقد امتنع بيت المقدس وصَعْب فتحه إذن، ولقد كان
يتوقع ذلك حتى ارتآه عين اليقين.

منذ سيّر أبا عبيدة وخالد عقب اليرموك تجاه حمص،
ومع ظفرهم وغنمهم للمدن واحدة تلو الأخرى علم ذلك.
من حمص إلى حلب فأنطاكية، وهم الآن يذيقون جيوش
هرقل الولايات شمال الشام.

هرقل ذلك الذي فر منذ زمن صوب القسطنطينية، بعد
أن ألقى نظرته الأخيرة على بلاد الشام!

مع كل ذلك أدرك عمر أن بيت المقدس سيستعصى على
الفتح في الأخير -ليس أبدًا كسائر البلدان- ربما لمثل هذا
أبي أن يرميه برهق سيف خالد، وآثر أن يرمي أرطبون الروم
بأرطبون العرب.

ولشد ما كانت فرحته حينما علم بما كاده عمرو للأرطبيون،
فجعله أضحوكة وصلت إلى مسامع هرقل وأوهنت جيشه
هناك في أرض فلسطين!

بل ونمت ابتسامته العذبة عن فخر متزايد بأرطبونه وهو
يردد:

- خدعه عمرو.. لله عمرو!

لقد ألقى الإسلام بتبعته الجسيمة على كتفي عمر اليوم،
وإنه لسائله أمام الله غداً كيف أدّيت حق نشر هذا الدين
يا عمر؟

دين ارتضاه الله للبشر، أفتراك قد قمت بحقه؟

أويسائك هذا الدين غداً يا عمر؟!

إلا أن هذا السؤال سيجيء مقترناً بسؤال آخر سيسأله لك
الله حتماً:

- ألقيت بالمسلمين الهلكة يا عمر؟

-أيا ليت بيني وبين فارس والروم سداً من نار، فلا أصل
إليهم ولا يصلون إليّ.

لكن هناك في تلك الربوع من سيتلقف رسالة السماء يوماً،

حال بينه وبينها أولئك الجند.

إلا أن بيننا وبين ذلك أنهارًا من دم أبوا إلا إراقتها.
وأبوا إلا أن يؤرقوا الخليفة، فلا يهنا بنوم ولا يهدأ عقله،
فلا يزال يضج بالفكر.

-هل أديت حق الله يا عمر؟

انتصر المسلمون في اليرموك.. ذللوا الجيوش وفتحوا المدن..
عمرو يجابه الآن داهية الروم هناك في أرض فلسطين.. قطع
جيش معاوية مدد قيسارية عن بيت المقدس، فاشتد
الحصار بلا مدد.. حصار غزة كذلك قطع الإمداد.. عمرو
نفسه استكشف المدينة الحصينة.. هل تراه جازف بأن
يسقط نفسه بين يدي الأرطبون بلا ثمن؟!

ثم كانت موقعة أجنادين.. يومًا من أيام الله.

وبرغم هذا يظل الأرطبون حصيًّا.. ندًا صلدًا واختبارًا
عسيرًا.. جد عسير.

متحصنًا ببيت المقدس هو، وكأنما زين له أن يظل فيه
أبدًا، وبدت السبل مقفلة حتى بدا في الأفق هذا العرض.

-ترى بم سيشير أهل الشورى غدًا.. ترى هل سيكون
سؤال الله عسيرًا.. بم ستجيب حقًا؟ هل ألقى بالمسلمين
الهلكة يا عمر؟ هل أديت حق الله يا عمر؟

لنعترف أنه طفل وإن بدا غير ذلك!

نعم لا يراه صالحًا إلا ليكون طفلًا.

طفل عنيد يأبى أن يفقد دُميته وإن أفسدها بيده.

طفل يأبى أن يخسر حتى لا يتشفى فيه خصمه ولا يوسعه رفاقه ذمًا.

ربما لهذا يرى عمرو نظرات الكراهية في عينيه، ولمثل هذا يقاتل باستماتة.

لكنه مع هذا طفل صعب المراس، يأبى الهزيمة أبدًا، وأوصل المسلمين لمثل هذا الحصار، وبدا أنه لا بُدَّ من حضور الخليفة ليتسلم مفاتيح تلك المدينة عصية الحصون، ومن يدري ربما بعد كل هذا لا يتسلمها!

لقد حقق عمرو تقدمًا وسبقًا في جوهر الصراع الدائر حول أبواب بيت المقدس.

ربما تجلّى التفوق واقعًا مع خدعته الشهيرة، التي سهلت له أن يكشف أسرارًا ودروبًا ما كانت عيونه التي أرسلها لترصدها.

وربما لهذا ولأخبار تقدم جيش أبي عبيدة وخالد هناك في الشمال انتصر المسلمون في أجنادين.

نصر لا يقل أبدًا عن نصر اليرموك، ولقد أثخن فيه القتال وإن أبت الحرب أن تضع أوزارها.

فمع نصر مؤزر لاج للمسلمين في الأفق سارع الأرطبون

بالانسحاب من جديد، ليلتحق بحصنه المحبب ويواصل لعبته التي أحبها.

وإن بدا الموقف معقّدًا إلا أن إشراقة تجلت في نفس ابن العاص، منتظرًا رد عمر على رسالته إليه!

ربما أوجز عمرو في رسالته، وإن تمنى عمر أن يوجز في حربه!
-إني أعالج حربًا كؤودًا صدومًا، وبلادًا ادُّخِرَتْ لك، فما رأيك؟

وها هو ينتظر.. وما للانتظار من بد.

في غرفة متواضعة ملأتها نقوش مسيحية مוגلة في العراق،
كان بالأرطبيون إيليا يخاطب صديقه القس:
-أنا الارطبيون إيليا الآن.

حاسمًا نطقها البطريق صفرونيوس، وقد أحاطت به هالة
من الصرامة والحسم، ندر أن يراه عليها ذلك القس!

كان يعلم أن الوضع عصيب، وأن عرض الأرطبيون للصلح
ما هو إلا محاولة مستميتة لتأجيل الصدام القادم، إذ ربما
أرسل هرقل مددًا ما.

إلا أن صفرونيوس نفسه راقّت له الفكرة وشجع البطريق

عليها، وقد عز عليه أن تسلم المدينة المقدسة كغيرها،
بعد حرب ضروس تراق فيها الدماء.

ربما لا يكن لهؤلاء القادمين من شبه جزيرة العرب وداً من
أي نوع، إلا أنهم -وفق ما وصله- لن يسوقوهم قصرًا إلى
دينهم، كما فعل هرقل من تبديل مذاهبهم.

لن يفتنوهم عن دينهم بحد السيف كما أراد هؤلاء الروم،
وهذا كافٍ إلى حد بعيد، فلقد سئم مسيحيو الشرق تسلط
هؤلاء الروم وربطهم لتوسعاتهم المريبة بدين المسيح.
-أرطبون هذا وغد كبير، لتعلم ذلك جيدًا.

قالها بتردد، إلا أنه تابع:

- كل ما يريده أن يثار من ذاك القائد العربي عمرو.

ازداد توتره أكثر فأكثر:

- أتعلم أيها العزيز كيرلس؟! أتعلم أن قائدهم خالد ذاك
الذي يزلزل الحصون فلا يصده شيء، قد استأذن أميرهم
عمر في أن يفتح بيت المقدس عنوة، فأبى!

أطلق بصره بعيدًا متابعًا:

- هؤلاء قوم يعظمون بيت المقدس يا كيرلس ليسوا
كهؤلاء الروم المذبذبين.. لئن استطعت أن أعقد اتفاقًا جيدًا
مع عمر هذا لتكون بشرى الخير على مسيحيي إيليا.. لقد
سئمتنا يا كيرلس.. صدقني.. لقد أرهقنا الوضع القائم هذا.

استشعر كيرلس التوتر على محيا البطريق، فقال بإشفاق:

- ولكن...

قاطعہ البطریق محتجًا:

- نعم.. نعم.. أعلم ما ستقول.. هذا الأرطوبون.. لشد ما أبغض تملّقه ومكره.. ما شأننا نحن يا كيرلس بهذه المہاترات؟ إنهم يقاتلون لمجد وسلطان ما لنا فيه من شيء.. إن نريد إلا أن نعبد الرب في سلام.. وهؤلاء العرب سيكفلون لنا ذلك.. هذا ما يعني وما يعني أهل إيليا من المسيحيين المخلصين.. سلام يحمله عمر.. فليذهب أرطوبونهم هذا إلى الجحيم!

أوما القس كيرلس بتفهم، وقال بهدوء:

- ما تعنيه واقعي إلى حد بعيد سيدي البطریق.. الناس هنا يحبونك وسيستجيون لأمرک.. ما يخص الأرطوبون كذلك ليس عسيرًا.. هو من طلب الصلح، وهذا الأمير القادم يبدو أنه لا يعرف لعب الصبيّة الذي يمارسه الأرطوبون.. لربما أمر خالد أن يقتحم المدينة، وحينها لن تنفعنا القسطنطينية كلها، ويعلم الله وحده كيف ستكون الحال. الأزمة الحقة أن هذا الأرطوبون يستمد تعجرفه من القيصر ذاته!

- وما شأني أنا وقيصر؟!

غاضبًا قال صفرونيوس قبل أن يتابع:

- أوليس هو من جرّ الويل إلى كل المسيحيين المخلصين؟! أوليس هو من استحدث بأن حاول فرض مذهبه بالقوة؟! هو من بدأ كل هذه الويلات التي نعيشها الآن، ولن أسمح

بأن يكون سببًا في إغراق المدينة المقدسة في بحر من دم.
هذا الأمير العربي قادم يبغى سلامًا الآن، فما أدراني
بحاله غدًا! لأن وجدت صيغة جيدة للصلح سيكون خيرًا
لكل المخلصين ممن اضطهدوا في دينهم على يد قيصر..
فليذهب القيصر وأرطبونه إلى ويلات الجحيم! ولتبق إيليا
لتردد التراتيل المقدسة في سلام.
وقد كان البطريق صادقًا إلى حد بعيد.. فالخليفة الذي
ارتحل إلى القدس لم يكن يبغى سواه.. السلام الذي يرفرف
بجناحيه هناك.. فوق مدينة الزيتون المقدسة.
مدينة اسمها القدس.

اشتد الحر وقد تبدت رأس الفاروق بلا قلنسوة ولا عمامة
تلفحها الشمس.
بقميصه الذي تخرق وملأته الرُّقع يمضي على بعير،
يتعاقبه هو وغلამه أسلم، وقد أزعج الوصول.
- قد وصلنا مؤتة يا أمير المؤمنين.
تأمل الموقع جيدًا وقد تداعت إليه ذكرى ذلك اليوم،
وكلمات النبي -صلى الله عليه وسلم- وكأنما تعاد على أذنيه
من جديد: قد أخذ الراية سيف من سيوف الله.

- خالد! كان رأي علي مناسباً لأقصى حد.

حقًا قد اجتمعت عليه الشورى في الأخير، ولكنه لا ينكر
أبدًا أن رأي عليٍّ بالخروج لإتمام الصلح صادم رغبته.

- أما أنا فأرى أن تذهب يا أمير المؤمنين، فقد أصاب
المسلمين جهد عظيم من البرد والقتال وطول المقام،
فإذا أنت قدمت عليهم كان لك وللمسلمين الأمن والعافية
والصلاح والفتح إن شاء الله، ولست بآمنٍ إن لم تفعل أن
يأسوا منك ومن الصلح، ويمسكوا حصنهم، ويأتيهم المدد
من بلادهم وطاغيتهم، ولا سيَّما أن بيت المقدس معظم
عندهم وإليه يحجون؛ لك الله يا أبا الحسن!

ها هو عمر سيطالع بعينه جيوش الإسلام.

جندًا دحر الفرس ودك حصون الروم.

جيش ظفر بالنصر وقد اقتربت اليوم البشارة.. جد
اقتربت.. اقتربت مثلما لم تكن يومًا!

ولكن أئني كان للخليفة أن يتخيل -ولو لوهلة- أن تقترب
البشارة وأمير المؤمنين اليوم عمر.

واليوم لقاء أمراء الجند بالجابية.. ومع مثل هؤلاء يطيب
اللقاء.

عمرو وأبو عبيدة ويزيد وخالد.

الله الله يا خالد! لله در خالد! قد عجزت النساء أن يلدن
مثله.

فتوحات وانتصارات، واسم دُوّخ جيوش الروم اليوم كما
دُوّخ الفرس بالأمس.

واليوم يتجدد اللقاء.. وقد عادت الأعين لتلتقي من جديد،
في حوار أحبته وألفته.

حوار يحمل بين طيّاته ما لا تحتمله المعاني ولا تسعه
الألفاظ.

حوار بين عمر وخالد.

- أولم تزل الستائر عن البصائر يا سيف الله؟! بل لقد
خرجت شعلة النور لديك أيضًا فارقت نوم كسرى وزلزلت
عرش قيصر، لقد سلّ رسول الله سيف الله ولم يعد لأحد
أن يغمده.

كان اللقاء عميقًا فريدًا جلالًا!

رفاق الصبا، وقد أبت الأقدار إلا أن يلتقيا وإن اختلفا يومًا!
وإن تعددت مرات اللقاء، إلا أن خالد يأبى أن ينسى نظرة
عمر له يوم قدم المدينة مسلمًا.. بلهفة وفرح حقيقيين
رمقه عمر يومها.

بل لن ينسى نظرات عمر في مكة، وكأنما يسأله: ما يمنعك
عن الله يا خالد؟!

وقد ظلت تلكم النظرات لغزًا أبى أن يحل إلا يوم أن أتى
خالد المدينة مسلمًا.

ولقد التقت أعينهما يومها كذلك ودارت أعذب الخواطر.

وكذا اليوم يعزفان معًا مقطوعة مجد فريد قد صار
للإسلام، وما زالت ترددها جنود فارس وروما فرضًا عيانًا
غداة كل معركة وصباح كل هزيمة!

نطق عمر والابتسامة لا تفارق ثغره، والود ينبض على
طرف لسانه، والرقعة تشق طريقها إليه:

- ما زلت واجدًا عليّ يا خالد؟

وأجاب خالد بقلب طفل لم يعرف الحقد أو الكره يومًا:

- ذهب جلّه يا أمير المؤمنين وبقي رسيه!

وقد قنع أمير المؤمنين بقوله ورضي به أيّما رضا.

- لا لا يكون.. لا يساكنّا اليهود فيها أبدًا.

قالها صفرونيوس بإصرار، وكأنما هي فصل الخطاب لديه،
وقد طالع وجوه الجالسين، عمر وأبي عبيدة وخالد وعمر
وزيد ومعاوية وعبد الرحمن بن عوف.

كان العهد قد اكتمل ورضي بكل شروط المسلمين، إلا أن
يساكنهم في بيت المقدس يهودي

أنى ذلك وقد فعلوا بالمسيحيين الأفاعيل يوم أن غلبت
فارس!

وما استقام الأمر حتى عاد هرقل لينتزع المدينة المقدسة،
وقد راق له طلب المسيحيين ألا يساكنهم فيها اليهود، إذ
كان في نشوة النصر، فأجاب لهم ما طلبوا.

- ولكنه بلد للأنبياء والرسل كيف أمنعهم عنه؟

بلهجة سلسلة لا ينقصها العزم، نطقها عمر.

- يا أمير المؤمنين، قد قبلنا جميع شروطكم، أما تلك فلا
نقبلها بحال.. إنهم أهل غدر وخيانة ولا نثق فيما يكيدونه
لنا، فتميلوا علينا أنهم كانوا يحرضون عليكم، فلما ظهر
دينكم يريدون أن تنتقموا لهم منا.

وكانما أثارت الكلمة عمر فقال بودّ:

- لا والله لا يكون، فاعلم أن الله تعالى يقول {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ
النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ
أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَن
مِنْهُمْ قَسِيسِينَ وَرُهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ}.

- هي في كتابكم؟!

- نعم.

- فلم قولك هذا وأنت تعلم شأنهم؟!

- إن الله قد أمر بالعدل والإحسان؛ ليس من العدل أن
نمنعهم عن أداء شعائهم.

- فكيف نأمنهم إذن وقد ساكنونا فيها.

- سنضمن لكم إذن ألا يساكنوكم فيها على ألا يُمنعوا من

الزيارة والحج. إنا لا نخرجهم إذ أنهم يهود، إنما نخرجهم لما كان فيهم من الغدر وما كان هذا في زيارتهم أو حجهم، فاقبل مني، إنا نؤمن بالرسول جميعًا لا نفرق بين أحد منهم.

- قد قبلنا إذن يا أمير المؤمنين، فلتقرؤوا كتاب الصلح.

ظهر البشر على وجه الفاروق، فأشار لمعاوية قائلاً: اقرأ يا معاوية كتاب الصلح.

- بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين، أهل إيليا من الأمان.. أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقمها وبريئتها وسائر ملتها.. أنه لا تُسكن كنائسهم ولا تُهدم، ولا ينقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيليا معهم أحد من اليهود.

هنا بدا البشر على محيا صفرونيس وكأنما لم يرد من الكتاب غيرها.

- وعلى أهل إيليا أن يُعطوا الجزية كما يُعطي أهل المدائن. وعليهم أن يُخرجوا منها الروم واللصوص. فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا أمانهم. ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيليا من الجزية. ومن أحب من أهل إيليا أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بينهم وصلبهم، فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بينهم وصلبهم حتى يبلغوا أمانهم. فمن شاء منهم قعد

وعليه مثل ما على أهل إيليا من الجزية. ومن شاء سار مع الروم. ومن شاء رجع إلى أهله، فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم.

وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين، إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية.

كتب وحضر سنة خمس عشرة هجرية.

شهد على ذلك: خالد بن الوليد، وعبد الرحمن بن عوف، وعمر بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان.

وقد كان هذا فصل الخطاب وقد استبشر عمر.

فاليوم صارت قِبلة المسلمين الأولى للمسلمين، يسكنهم فيها المسيحيون، إلا أنه لا مقام فيها لليهود ولا يسكنوا أهلها.. أبدًا.

إلا أن الخليفة قد شعر بغصّة في حلقه، وإن كان حقًا لا يدرى لِم!

بدت الساحة هادئة تسبح في عوالم سماوية ساحرة.. تنسم السماء فيها فتزهر أزهارًا وردية في قلوب صافية نقية.. وتعزف معزوفة سامية، فتتهز أشجار الزيتون طربًا وترقص حمامات محلقات بنشوة وفرحة.

إنها ساحة المسجد الأقصى، ومن بعيد يزينها مسجد قبة
الصخرة، بقبته اللامعة تحت ضوء شمس خجولة تشرق في
خضوع.

جموع من المصلين أشرقت وجوههم النضرة تردد أحلى
أناشيد السلام.

وفجأة اهتزت الصورة ليتحول كل شيء إلى ركام، بدت أشجار
الزيتون حزينة وتوقف الطير وبكت السماء، ومن بعيد تردد
صوت صفرونيوس بحسم:

- لا والله لا يكون ذلك أبداً، وصوت معاوية يقرأ بتؤدة:

- وألا يساكنهم فيها اليهود أبداً!

هنا استيقظ عمر على صوت بلال ينادي بودّ، وقد تذكر
الآن أن مواعده اليوم مع الساحة المقدسة.. حيث المسجد.

- ويحك يا كعب! ما زلت بقولك هذا للأمير المؤمنين إلا
لتثنيه عن رأي عزم عليه.

قالها عبد الله بن سلام بضيق.

تلعثم كعب الأخبار لوهلة قبل أن يقول:

- ولم أثنيه؟! قد طلب الشورى، وها أنا أشير عليه.. ما

زدت على هذا.

كان الخليفة في لحظة تفاعل حقيقية مع المكان من حوله، فأراد أن ينهي الحوار الدائر، إذ قال:

- ولم لا تريدنا أن نتخذ هذا الموضع مسجدًا يا كعب.. موضع إليه أسرى نبينا ومنه عرج إلى السماء وفيه صلى بالنبين إمامًا.

قالها وقد تملكته رهبة خفية، إذ يجيل بصره في المكان من حوله.. لَقَّه الضيق وقد رأى الإهمال باديًا في كل موضع، وذهب ببصره أقصى الشمال، حيث الصخرة التي علتها الكناسة، فزاده ذاك همًّا.. كان الموضع الذي اختاره عمر مناسبًا بحق، وقد تبدَّى في أبهى حلله اليوم لأول مرة منذ عرج منه النبي صلى الله عليه وسلم - بعد أن صلى بالنبين إمامًا.

قطع كعب تأملات عمر بلهجة مطاطة لا يسبر أغوارها إلا من كان مثل عمر:

- إني خشيت أن ينازعنا النصارى على هذا الموضع.

بلغ الضيق في نفس عبد الله بن سلام مبلغه، فقال:

- بثس الرأي وبئست الشورى.. أَمِنْ دُون كَنَائِسِهِمْ وَصَلْبَانِهِمْ لَا يَجِدُونَ إِلَّا مَسْجِدَنَا لِيَنَازَعُونَا.

تبادلت نظرات عمر بينهما، وفي نفسه تصاعد سؤال حائر:

- لِمَ هَذَا الْفَارِقَ بَيْنَهُمَا وَهُمَا أَجْدَرُ مَا يَكُونَا بِالْتِمَاثِلِ، كِلَاهُمَا يَهُودِي أُسْلَمَ، وَلَكِنْ شَتَانِ، مَعَاذَ اللَّهِ يَا عُمَرُ!

أوحسبت نفسك مطلقًا على النيات والقلوب؟!!

انتاب ذاك الهاجس عمر فانتفضت روحه وعاد إلى الحوار بقوله:

- إنا قد أمّنا النصارى يا كعب، وكنسهم وصلبانهم ومقدساتهم في حمايتنا، ما أراهم ينازعونا موضعًا أهملوه بعد أن هدم معبد الرومان الوثنيين كان قائمًا عليه، ليتك كنت معي إذ أزارني ذاك البطريق مقدساتهم بالأمس.

شعر كعب بغصة في حلقه، إذ تذكر ما فعله به البطريق يوم العهد، ولكنه قال بحذر:

- إن لم ينازعنا النصارى نازعنا اليهود.

- اليهود!

نطقها عبد الله بن سلام وقد نظر إلى كعب نظرة ذات معنى.

ثارت ثائرة كعب، فقال بغضب باد:

- أراك تريد أن تكرر مقولة ذاك البطريق يا ابن سلام.. قلها يا ابن سلام.

ظهر الغضب على محيا عمر وهو يقول بحزم:

- حسبك هذا القول يا كعب! لا تعود لمثله.

تابع كعب بود:

- ولكنك لم ترد مقولته يا أمير المؤمنين، إذ قال أخرجوا

هذا اليهودي؛ ما كان لنا أن نكتب العهد وهو بيننا!

قال عمر بودّ:

- قسّ ما زال في نفسه شيء من يهود غدروا بقومه يا كعب..
مالأوا الفرس لينكلوا بقومه.. ما زاد الأمر على ذاك يا كعب.

- وهل إخراج اليهود من بيت المقدس لمثل هذا أيضًا؟
بدا الغضب المكتوم على محيا كعب وهو ينطقها.

قال ابن سلام بمكر:

- وما شأنك وبني يهود.. أولست أسلمت فحسن إسلامك؟!

وقال عمر بحزم:

- ويحك يا كعب! هل كان اليهود فيها فأخرجناهم؟ ما
منعوا من مساكنة أهل بيت المقدس إلا بما غدروا.. وقد
منحناهم حق الزيارة والحج وهو ما لم يكن لهم قبلاً.
ثم ها أنت ذا تعلم ما ورد في الصلح، فما شأن قولك بأن
ينازعنا اليهود؟

حار كعب جواباً فأثر الصمت، إذ خشي أن يزداد لغطه،
فتابع عمر بحسم:

- ثم إن اليهود شأنهم كشأن النصارى في مثل هذا،
بل أدنى.. فلقد أهملوا أيضًا هذه الأرض منذ هدم معبد
الرومان، أولًا ترى ما اجتمع بها من كناسة أهل المدينة، ما
لم يقرم به قائم منذ أمد؟!

عجز كعب عن النطق تمامًا وهو يحيل بصره إلى الأتربة

التي غطّت المكان، وإلى الكناسة المتراكمة، وقد تابع عمر:
- ألسنا أولى من كل هؤلاء بأرض صلى فيها نبينا إمامًا بكل
النبیین، بل كرمه الله فأسرى إليها وعرج منها؟!
انقطع معاذ بن جبل عن صمته وعن تأمله في المكان،
فقال:

- نعم رأي رأيت يا أمير المؤمنين، وما ذكر الله هذه
البقعة بالمسجد الأقصى إلا لتشريفه لها بأن تكون مسجدًا،
فهلم وامض لأمرك ونحن معك.
استبشر عمر بقول معاذ، فقال:

- فأين نجعل القبلة؟
خرج كعب عن وجهه، فقال بحماس:
- لنجعلها خلف الصخرة يا أمير المؤمنين.
حاسمًا قال ابن سلام:

- إن أمرنا بأن إلى الكعبة قبلتنا وما إلى الصخرة نصلي كقوم
موسى !
لم ينقطع حماس كعب:

- فلتكن خلف الصخرة تجاه القبلة فنجمع الحسينين.
رأى عبد الله بن سلام أن قول كعب قد سرّ عمر:
- إن جعلناها إلى الصخرة أخرجنا محراب داود وسليمان عن
المسجد يا أمير المؤمنين، فهل تريد ذلك حقًا؟!

أسقط لدى كعب، فسارع يدرأ التهمة:
- إن أردت إلا خيرًا وما انتبهت إلى مثل هذا.
أنهى عمر الأمر برمته، إذ قاطع كعب:
- فلنباشر إمطة الأذى عن الصخرة.. بئس قوم دنّسوا مثل
هذا الموضع المبارك!
همّ كعب بالكلام، فسارع عمر حازمًا:
- أرى أن قولك الذي قلت كافٍ يا كعب.
ثم نظر إليه نظرة اخترقت وجدانه ونفذت إلى روحه،
فكأنما يرى ما دار بخلده:
- ولا تخلع نعليك ثانية فإني رأيتك.
همّ كعب بالرد، إلا أن عمر تابع بحسم:
- أراك قد ضاهيت فيها اليهودية.. وأنهى قوله بما لم يعد
سبيل للرد.. أبدًا.

- مصر يا أمير المؤمنين.. إنها مصر!
قالها عمرو بن العاص مُلَحًّا.
فأجاب عمر بابتسامة عذبة:

- ألا زلت مُصرًّا يا ابن العاص تذكر لي مصر أُنِّي لقيتني؟! وما الضير أن ندعم فتوح الشام بفتح مصر.
- وكانما ضاق ذرعًا نطق الخليفة:
- أقبل أن نفتح قيسارية نفتح مصر؟ فأُنِّي ذلك؟
- وابتدأ عمرو يقول بإصرار ودهاء واضح:
- بل نقطع مدد البحر عن قيسارية بفتح مصر! جاره عمر بدهاء مماثل وابتسامة خفية تبدت على محياه:
- فكذا القسطنطينية تمد قيسارية من البحر! فلنفتحها إذن.
- أدرك عمرو اللعبة، فقال:
- إن كان هذا رأيك فاستشر! ثم ارتسمت على محياه ابتسامة مأكرة: ولكن أرى أن مصر أقرب لنا من القسطنطينية وأيسر!
- بضحكة صافية ارتسمت على محيا الفاروق:
- مصر.. ثم مصر.. ثم مصر.. هذا أنت يا ابن العاص.. سأنظر الأمر حين أصل المدينة يا عمرو.
- بلهفة قال عمرو:
- وترسل إليّ بالجواب؟
- بابتسامة بين الدهشة والسرور أجابه عمر:

- إن شاء الله يا عمرو.. سأُنظر أمر مصر.

ساحرة هي رغم كل شيء كعهدها.. إلا أن شاهداً عدلاً إن
دُعي لقال إن رونقها قد زال.. بل ومع ذاك قد حل محله
كآبة اخترقت وجدانها فلم تتركها أبداً كما كانت.. ولم
تعدّها هي نفسها مع ما مر بها من خطوب.

- لشد ما قسوت عليك يا رستم! فلقد كنت أعلمنا بويل
ما جرّه علينا ذاك المملوك من خطوب.. واجهت الهلكة
وبقينا نحن بالمدائن ننتظر ما أُرّف من نهاية على الأبواب..
أواه ملك فارس! خيول العرب قادمات لتدك المدائن.. إن
لم يكن هذا اليوم، فغداً قريب.

رستم الحبيب.. قرّة العين وأليف الروح.. شد ما اشتقت
إلى همساتك العذبة ونظراتك الحانية.

ربما ألمح طيقاً من فطنتك من فيروز.. ولكن هيهات.. أين
هو من شجاعتك وإقدامك؟! أين هو من نبيل رستم فارس
فرسان إيران!

فيروز.. لتصغ إليّ بنيّ كما لم تصغ من قبل.. لتلتقط كلماتي
وكأنما هي زادك الأخير من الدنيا.. هؤلاء العرب الأجلاف قد
قتلوا أباك.

لمحت الغضب يرتسم على ملامحه الفتية، فتابعت وقد
اتقدت عيناها بلهيب غاضب تأثر:

- هؤلاء العرب.. قد منّا عليهم من قبل، ولكن هيهات
لهؤلاء الصعاليك أن يذكروا الفضل.. قد قابلوا الحسنى
بالإساءة.. وأي إساءة بُني الحبيب! إذ ذللوا ملكًا عظيمًا قد
بلغ الآفاق.. إن لنا مجدًا عظيمًا ذرته رياح سعد.. مجدًا
عظيمًا ما كان له أن يزول.. إن لنا مجدًا تليدًا قد داسته
أقدام ملكهم عمر.. عمر.

راقبت تغير وجهه، فأدركت أنها بلغت مبتغاها.. عيان
ضاقنا بالحنق وأذنا تستدعي مزيد الحقد وفؤاد قد انطوى
على الكره، فواصلت بلهجة بين الشجن والغضب: هناك
في المدينة يقيم ملك العرب.. يكيد المكائد ويدبر الخطط
ليزيل من الوجود اسم فارس.

- هناك في مدينة العرب يا فيروز.

ترقق الدمع في عينيها وهي تتابع:

- لم يعد لي كثير مقام في هذه الحياة بُي.

مدت يدها لتلف حول إصبعه خاتمًا ذهبيًا وهي تقول:

- هذا خاتم أبيك يا فيروز يوم قتله العرب.. يوم قتله
جيش عمر يا فيروز.

بأدلتة نظرة ذات معنى، قائلة:

- لا تخلعه من يدك يا فيروز.. أبقه دومًا؛ عليك تجلب

فخار فارس.

ظلت تبث سمومها كما اعتادت كل يوم، وبدا الآن أن
فيروز يستجيب تمامًا.. وأنّ ما دبرّته ماضٍ بنجاح.. أيّما نجاح.

obeikandi.com

اعتصر قلبه شعور أليم باليأس.. زحف الحنق على روحه يكبلها.. اكتنفته الخواطر تلجمه إلجامًا.. في حين امتد أمامه اليم السرمدي.. ها هي زرقته الصافية تطرح الأسئلة في حين يعجز ذهنه المشتت أن يجيب، وبمّ يجيب وقلبه وروحه قد عجزا كذلك؟¹

هل حقًا حدث ما حدث؟ تسائله أوراق الشجر.. فتراه قد عجز عن الإجابة.

هل حقا رحل من رحل؟ يناديه القمر فتراه قد حار جوابًا.
ظل كذلك لفترة لربما لم تطل، لكنها مرّت عليه دهورًا، ولقد تركت أثرها في روحه بما تعجز أن تتركه السنون، ولكن في النهاية قد استفاق كما يليق به.. كما يليق بشطا.. شطا بن الهاموك.

القيصر قد طلب.. ترى هل كان من الممكن أن يرد طلبه؟!
هل كان المقوقس قادرًا على رفض دومنتيانوس صديق القيصر؟

لقد أراد دومنتيانوس أورمانوسة وأراد القيصر ذلك وانتهى الأمر.

لربما كان يعرف المقوقس أن أورمانوسة لسطا.. ربما.
بل كاذب هو أن أنكر.. مصر كلها من أقصاها إلى أقصاها
تعرف ذلك.

لكن والحق يقال أورمانوسة لم تكن حازمة في الرفض.
بل لربما لم يكن دومنتيانوس أيضًا بهذا السوء.
ثم زاد شطا من تعقيد الأمر بانضمامه إلى العرب الفاتحين..
في فعلة قد قلبت الموازين.

شطا أحقق بالتأكيد؛ أضاع دينه وأضاع حبيبته، واليوم
هو ذاهب لقتال أبيه في تنيس.
أي أحقق كنته ياشطا؟!

المقوقس كان يعرف ذلك، كان يردده، لكن هل كان يؤمن
به تمامًا؟

لقد استفاق شطا سريعًا.
مرارة حقيقية تلك التي تذوقها، ولكنه استفاق أخيرًا.
لقد ضاعت أورمانوسة، ولكن الاختيار كان لها، ولقد
اختارت ذلك الرومي صديق القيصر.
ترى هل تؤمل أن يكون لها مثل حب شطا؟!

شطا يثق أنها لن تزعم ذلك أبدًا، فهي خير من يعرف كم أحبها، وبمقارنة بسيطة يقيمها أي عاقل يتوصل من دون جهد إلى أن أورمانوسة قد اختارت الاختيار الخطأ، ومن كل الوجوه، لكن أيًا من هؤلاء العقلاء يجيب عن السؤال الأهم: لِمَ اختارت الاختيار الخطأ؟ الحق يقال، أنا نفسي لا أعرف، شطا أيضًا لا يعرف، بل أي من أهل مصر كذلك لا يعرف.

ولكن الأدهى هنا أن أورمانوسة أيضًا لا تعرف.

لقد أراد شطا في ظل تخبّطه أن يسأّلها، ولكن بعدما استفاق كان هذا ضربًا من العبث ومن الدوران السرمدي حول العدم.

لقد أعلنت اختيارها وانتهى الأمر؛ لم يعد الخطأ قابلاً للإصلاح، ولقد تجاوزت أورمانوسة نقطة العودة، وها هو شطا يتجاوزها كذلك.. ولكن شتان.

أوه أيتها الطفلة الرقيقة! لشد ما كنت قاسية حقًا!

لقد اختارت ولم تبرر، ولقد كانت تعلم يقينًا مدى الأسى الذي سيسببه هذا الاختيار لشطا، كانت تعلم أن مقدار صدمته بمقدار حبه، وجدّ ما كان عظيمًا هذا الحب!

هناك في تلك الربوع من أرض مصر، نما الطفلان معًا،
وعلى امتداد هذا النهر العظيم التقيا هناك في طيبة،
أقصى صعيد مصر، أو في دمياط حيث يقيم الهاموك والد
شطا، وفي قصر المقوقس حيث تقيم أورمانوسة ابنة أخت
المقوقس.

ابنا الخالة ألان وزوجا المستقبل بعين الخيال كما رأى
الجميع، ولكن آه وألف آه من الأقدار! فمنذ متى كانت الحياة
بهذه السهولة؟!

هناك في قصر المقوقس وأمام زرقة المياه وتحت ظلال
الشجر، جلسا وقد تبادلت عيناهما أصدق معاني الحب
وأخلصه من دون أن تغادر الكلمات الشفاه.

- أوه أورمانوسة!

أيا طيفًا نقيًا يجتاح الدروب ليؤثر الأبواب بصفائه، أيا
قطرات ندى جادت بها السماء في صباح جميل.
أيا من أثرت غيرة فينوس وأحنقت ديانا فتوارت خجلًا في
الأفق.

أيا من أحببتها يوم ولدت وقبل أن أولد وسأظل أحبها
بعد أن أموت.

أضيئي ظلام ليلي بإشراقة ابتسامتك الصافية.
أيا نجمة الصباح المتألقة أيا فينوس الجميلة.
أيا من هي ماضيّ وحاضري وقبلي ومعادي.

أيا من تعزفين لحناً شهياً وتنسجين بيديك الرقيقة خيوط
عمري وقادم أيامي.

أيا أهازيج الصبا.. أغاريد الطفولة.. ولوعة الحب.. أيا قمر
المساء.

لقد استيقظ شطا ذات صباح، ليدرك أن أورمانوسة لم
تعد له، ولشد ما أدهشه أن هذا الألم لم يعد يجثم
على صدره، لم يعد يؤرقه ويصيبه بالاختناق، ولكن لا
يزال شعور بالمرارة يلازمه، ليس بسبب أورمانوسة فهذا
-ويا للعجب!- لم يعد يعنيه، وإنما بسبب ما أضاعه من
عمره يطارد وهمًا ويبحث عن سراب. لكن -وما أغرب القلب-
صار الأمر وخلال أيام ثلاثة ماضيًا.

هو نفسه لم يتوقع أن ينتهي الأمر بهذه السهولة، حتى
لقد شك أنه لم يحب أورمانوسة كما يجب، ولكن سرعان
ما زال هذا الخاطر عنه.

فلقد أحبها حبًا ملأ عليه حياته، ولقد احتلت جزءًا لا ينكر
من روحه، إن لم تكن روحه كاملة، حتى صار من يقول بأن
شطا لم يحب أورمانوسة، وكأنما يجزم بأن تلك البسيطة
لم تشهد شيئًا اسمه حب منذ أن وجد على الأرض بشر.

كل هذا الحب في لحظة -ويا عجب!- اندثر وصار وهمًا.
فجأة زالت تلك الهالة القدسية التي أحاطت أبدًا
بأورمانوسة.

زالت وكأنما وجدت فقط لأن شطا يحبها.. يحبها هي من

بين نساء الأرض جميعًا، واصطفاه هي بهذا، فما إن فقدت تلك المزية حتى انضمت إلى جحافل الفانين.

زالت حينما أدرك شطا بعقله -وبعقله فقط- أن أورمانوسة لم تعد تلك الجديرة بحبه، وبأنها تنازلت وبمحض إرادتها عن هذا الشرف، ووضح جليًا أن ما كسرتة أورمانوسة لم يعد قابلاً للإصلاح.. أبدًا.

زالت تلك الهالة ببساطة، لأن شطا -ذلك الفتى المصري الذي يصرح وجهه الوسيم بمصرية لا جدال فيها، ذلك الذي تلتمع عيناه البنيتان ذكاءً لتشعّ سحرًا وبريقًا، ذلك الفتى الذي خطا للتو عقده الثالث، ولقد كان بالفعل محل ثقة والده، ولشد ما ساند خاله المقوقس في حكم مصر، ذلك الفتى الذي ذاع صيته حتى بلغ روما ووصل إلى قصر القيصر نفسه، ذلك الفتى ببساطة يملك قوة- بعيدًا عن قدرات الجسد يملك قوة لم يتوقعها أحد.

قوة داخلية لم يعهدها البشر، ما عدا في هؤلاء العرب الذين صارت خطواتهم مسموعة، حقيقة لا مجازًا، بالقرب من تلك التي يخفق لها قلب شطا الآن، كما ظل يخفق لها طوال عمره.

فالآن قد وضح جليًا للجميع أن العرب هنا.. في مصر.

- كما أنكرت عليّ حب أورمانوسة من قبل، تنكر عليّ الآن معونتي للمسلمين. هكذا أنت دائماً يا فترون.. أوه حقاً من لم يعرف الحب لا يعرف سر الحياة!

ألقى شطا بعبارته كحمم بركان على مسمع فترون، الذي هز كتفيه لا مبالياً وهو يقول بسخرية مقيئة:

- ولقد اتضح صحة قلبي، ها هي أورمانوسة ستزف بعد شهر إلى صديق القيصر.

ضايقت الطريقة شطا وهو يحدث نفسه:

- ها هي حماقتك أورمانوسة جعلت فترون فارغ العقل والقلب يحسن الجدل. ولكنه تابع ببساطة:

- لكنك لم تكن محقاً حينها، لقد كنت أحب أورمانوسة وقتها حباً يكاد من وضوحه أن يكون مرئياً مسموعاً (تابع بضيق) أما الآن فلا.

- هؤلاء غزاة يريدون مصر، أولم تفهم بعد؟! (ألقاها فترون محتجاً).

- أولم تفهم أنت أنهم يرددون قيم الحق والعدل ويترنمون بمبادئ المسيح.

قاطعها فترون ثائراً:

- لتصمت أيها الواهم المخدوع؛ المسيح منكم براء.

انفجر شطا غاضباً:

- انزع عنك مسوح الرهبان أيها الواهن، فلن تغني عنك

شيئًا.. أظنني أحد الواهمين الذين يخدعهم قولك دون أن يدركوا حقيقتك؟! افتح عينيك أيها الفاني لتأمل ركاب الفاتحين، ولكن.. ويا أسفاه! هيهات أن ترى، فمن عجزت عيناه أن ترى الحب، أولى به ألا يرى الحق.

حوّل شطا عينيه عن محادثه ووّلّى وجهه شطر النيل، تأمل النبات على ضفافه والأزهار التي تعالت منصّته، هنا سما شطا بروحه ليردد بنداء رده الكون، فألجم فترون حائرًا.

شطا الذي تحوّل إلى جزء من معزوفة قدسية، تعالت في الأرجاء ليصيح بها الطير ويغرد بها الزهر.

- أوتكفر بالحب أيها الفاني؟! أوتجحد بحقيقة ارتضاها لنا الرب؟! -

- اخفض صوتك، فما عاد صوت يعلو بعدما نطق الحق.

- أوتنكر سر الوجود وطاقة الكون الدفينة؟! -

- اهبط من برجك، فأنت أخسّ من أن تتحدث باسم الرب، لا تظن أن تبثّلاتك ستمنحك حقًا أو امتيازًا ليس لك؛ تيقظ أيها الواهن، لا تأمل أن يصدق أحد قولك بأن الروم يحملون لنا خيرًا، تأمل أيها الفاني، فمن هنا تشرق الشمس.. من هذه الأرض ينبت الخير ويحمل إلى الكون. واهم حقًا من ظن أن يحمل إلينا خيرًا.

- والمسلمون؟ -

- إنما جاؤوا لإعلاء العدل وترميم ما فسد، لو ظنوا -وما لهم أن يظنوا- أنهم مثل الروم فقد انتهى أمرهم، فهذه

الأرض مهد الكون.. هنا يولد عبدة الرب. كن واثقاً أيها
الفاني؛ لن يحمل الروم النور إلى حيث تشرق الشمس.

تسللت نسائم الفجر الوليد إلى جيش المسلمين المرابط في
أرض مصر.

فجر جديد يكر بدد ظلمة الليل البهيم، وبشر بنصر يراه
المسلمون قريباً.

وكيف لا، وأول دخولهم أرض مصر كان يوم عيد.. تأمل
شطا الجيش وذهنه يسترجع ما مر به من أحداث متلاحقة.

ها هو شطا، فتى القبط الذي أبلى بلاء أي بلاء، في يوم
الفرما، إذ استعصى النصر على الجيش الفاتح، ليأتي شطا
دالاً ومرشداً لمواطن الخلل في حصن الروم، وإذا بالمسلمين
ينقضّون ليوناً ليتخطفوا جنود الروم بعد عون أهل الفرما
لجيشهم، فما كان إلا أن فر الروم عنها.

ما لبث إلا يسيراً وكان صدر شطا قد انشرح للدين الحنيف،
وسط فرحة الجيش المسلم الذي كان لتوّه قد انتقل للإعداد
لمرحلة قادمة.

لكم يكره شطا الروم! حقيقة لا تقبل جدلاً.. بل إنه لم
يجد غضاظة في أن يعلنها، وأمام خاله المقوقس يوم أن زار

قصر أبيه في دمياط.. تمر ذكرى ذاك اليوم على شطا فتترك
ألمًا من العسير على الأيام أن تزيله.

- خالي.. لقد قررنا أنا وشطا الزواج.. أفلا تبارك زواجنا؟

بدلال قالتها أورمانوسة على حين غرة من الجميع.. ذهل
المقوقس للحظات قبل أن يقول مستسلمًا:

- دومانتىوس.

ثم تابع وقد استعاد رباطة جأشه:

- قطعًا تدركون موقفى أبناي.. لقد أعلنوها صراحة في
مجلس القيصر نفسه بأني أوالي العرب عليهم.

تملك بعض القلق شطا، فتساءل بحذر:

- وبمَ كان ردك؟

- لقد قلتها صريحة.. أبطلت حججهم.

تملكه أسى قبل أن يتابع:

- سألتهم أمنكم من اضطهد القبط مثلي من قبل!

شعر شطا بغصة في حلقه إثر إدراكه لمعنى كلمات خاله..
فلقد كانت سعادته أيما سعادة وهو يحاول أن يبدل قرارات
خاله، لتصب في نهاية المطاف في صالح القبط.

حتى لقد بلغ خبر ذلك الفتى القبطي الذي العنيد إلى
قصر القيصر نفسه، فأحجم عن فكرة وليدة بأن يوليه
خلفًا لخاله.. ذلك الفتى الذي اكتسب محبة أهل مصر من

أقصاها إلى أقصاها، فصار خطرًا حقيقياً على ملك الروم بمصر.

ساد الصمت لبرهة في المكان قبل أن يقول المقوقس بيأس:

- أخشى أن يعزلني القيصر، وحينها سيولي صديقه الرومي دومانتيوس.

أثارت كلمته الأخيرة حفيظة شطا، فاستشاط غضباً وهو يقول:

- ليدرك حينها من هو شطا بن الهاموك.. لأتكلن بهذا الدومانتيوس بما يشفي غليل القبط من روما.

تأمل ملامح قلقه ارتسمت على محيا خاله، إلا أنه تابع: لتعلم أن لا مقام بعد اليوم للروم بأرض مصر.

- أويدخلها العرب؟

- ما للمسلمين والروم؟! إن هم إلا قوم أرادوا نشر دينهم.. ثم بعدها لكم دينكم ولي دين. وهل دعوا إلا لـ"لا إله إلا الله"؟ فمن تبعها فبها، وإلا فلهم ما لنا، وعليهم ما علينا.. ما رأيت إلا أن هذا نهجهم بأرض الشام.

- إن أرادوا إلا أن يقضوا على دين المسيح بأرض مصر.

- إن من لم يقض على دين المسيح بأرض الشام.. أترأه فاعلها في مصر؟

ثم تتم شطا بخشوع:

- {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ
أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا
نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيصِينَ وَرَهَبَانَا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ}.
أعلمك يا حاكم مصر أن لا بقاء للروم بعد اليوم بأرض
مصر.

تأمل شطا وجوه الحاضرين، وأردف:

- سألتحق بجيش العرب في الفرما لأكون لهم عوناً ومدداً.

وحانت التفاتة منه إلى أورمانوسة، فنطقت عيناها اللتان
اغرورقتا بالدموع بما أراد لسانها أن ينطق به.. قالتها بلغتهما
الخاصة الفريدة التي ألفها مذاك صغارا، رددت عيناها ما
نطقته مراراً قبلاً:

- شطا.. ثق بأنني سأكون لك ولن أكون لغيرك أبداً..
سأنتظرك يا شطا وإن طال الانتظار.

ولكن -والحق يقال- انتظار أورمانوسة لم يدم طويلاً،
فإنها سرعان ما اختارت.

وللعجب فقد اختارت دومانيوس!

كيف؟ ولم؟ أسئلة كثيرة تلك التي ضجّ بها عقله لفترة
سيرة نوعاً.. لكنه سرعان ما تناساها في خضم الأحداث..
أورمانوسة تدرك جيداً كيف سيكون وقع قرارها عليه، ومع
ذلك اتخذت القرار دون حتى مبرر أو سبب طفا على السطح.
إذن فلقد انتهى الأمر.

تدافعت تلك الذكريات إلى ذهن شطا، قبل أن يقطعها
يونس بقوله:

- لقد وجدوا أورمانوسة في الفرما.. فلقد كانت هاربة من
دوماتيوس.

نظر شطا بدهشة إلى يونس، ولكن عقله سرعان ما رتب
الأحداث، فتجلت له الصورة كاملة.

ما إن ترك شطا دمياط حتى أعلنت أورمانوسة أنها وافقت
على الزواج من دوماتيوس. لم؟ وكيف؟ لا يعرف، ولم يعد
يهمه أن يعرف.

ثم تراجعت من جديد، وحينها لم يكن هناك من بد إلا
الفرار، ولأن قصر المقوقس ليس بمكان مناسب لمثل هكذا
فعل، فليس هناك سوى أقربائهم في الفرما.

تلك الحمقاء أغفلت أن جيش العرب على مقربة من
المدينة، ومع بداية الحصار تعثرت العودة وصارت سراًباً.

ثم هرب دوماتيوس.. أحداث متعاقبة متتابعة أدت في
الآخر إلى أن وجد جيش العرب أورمانوسة في قصر الحاكم
بكل تأكيد.

تساءل شطا قلقاً:

- وماذا قال القائد عمرو بن العاص؟

قال يونس متخابثاً:

- لقد أمر بإعادتها إلى دمياط تحت حراسة من المسلمين،

فالقائد لا يزال يذكر أن المقوقس خالها أحسن استضافة
وفد النبي -صلى الله عليه وسلم- من سنين.

أطرق شطا برأسه غير مبال:

- وبعد؟

- سيدى عمرو يسألك إن أردت أن تكون في موكب الحراس
(ارتسمت لوهلة ابتسامة خبيثة على محيا يونس قبل أن
يتابع): فيم أرد عليه؟

- أسألت أورمانوسة عني؟

- لا تتوقع منها هذا يا شطا؛ هي أنثى على كل حال، وفي
الأخير هي ليست مضطرة إلى مثل ذلك.

- وأنا لست مضطراً لأن أكون في الموكب.. قل للقائد إن
شطا يعتذر ويطلب العفو من هذه المهمة، وإن فكره الآن
مشغول بالمعركة القادمة.

فغر يونس فاه، وقد ارتسمت على محياه أبلغ آيات
الذهول.

فتابع شطا:

- أتدري يا يونس؟ حين كنت صغيراً أهدى لي والدي
صليباً رائعاً.. كنت أحبه.. أصطحبه أينما ذهبت.. كنت
أراه لا يُقدَّر بثمان.. بل كنت مستعداً أن أفقد حياتي على ألا
أفقد هذا الرمز الغالي.

شعر بغصة في حلقه قبل أن يتابع:

- لقد انزلق الصليب يومًا من يدي ليسقط على أرض صلبة، فتناثرت أجزاؤه وتحول إلى فتات.

بدا الجزع على محيا يونس إذ أدرك ما يعنيه شطا، الذي تابع:

- لم يعد صليبيًا مقدسًا يا يونس.. تلك القطع المتناثرة لم تعد تخصني.. لم تعد لي.. أوتعلم ماذا فعلت بعدها؟

رفع عينيه لتصطدما بعيني يونس اللتين اغرورقتا بالدموع، ولكنهما أبتا أن تقطر منهما دمعة واحدة، ثم أردف:

- لقد جمعت تلك الأجزاء ونحيتها جانبًا، ثم انطلقت أبحث عن صليب جديد، فهو ما انزلق من يدي أولاً.

التقت عيناها لوهلة، وتابع شطا:

- يونس، من أجل هذا الدين نحيا.. ومن أجل تلك الأرض نقاتل.. تلك الأرض قد انتظرت الكثير يا يونس.. تلك الأرض التي خطاها من قبل موسى ويوسف -عليهما السلام- تلك الأرض التي ذكرها نبينا محمد.. تلك الأرض التي باركها الإله منذ خلقها.. قل للقائد، فلترجع أورمانوسة للمقوقس، فإن شطا ليس بعقله الآن سوى تيس.. تيس فحسب.

تتيسر.. ملحمة الملاحم، لربما نسيناها، تجاهلناها، ترنماً
بفتوح الفاتحين، ولكن عند تيسر تتوقف الكلمات.

يوم ليس كأى يوم، فقد اشترأبت أعناق أهل مصر لترى
بعين الواقع ما قد يعدّه البعض ضرباً من خيال، فهناك
في تيسر دارت معركة بين جيش العرب القادم من شبه
الجزيرة، والذي تلقى عوناً من أهل القبط، ذلك الجيش
الذي التقى حامية الروم في تيسر، التي انضم إليها مدد
غير يسير لتحصين المدينة، ولكن ما دفع للعجب أن قائد
الجيش الرومي لم يكن إلا أحد القبط، بل لقد كان الهاموك
حاكم دمياط ذاك الذي يدفعنا إلى القول بأن شطا في أول
معركة يخوضها بعد إسلامه يجد نفسه وجهاً لوجه أمام
أبيه. أبوه الذي كفر، الأرض والنيل وإرثاً ثقيلاً حمله عبر
التاريخ آباء عظام، لينضم إلى الروم الذين طالما ساموا
القبط خسفاً، ولقد انقشع الغبار ليرى الجميع ضروب القتال
التي أبدأها هذا الفتى القبطي في المعركة، وما إن تبدى له
في الأفق فترون حتى اتجه إليه منادياً:

- هلمّ عبد روما الآبق.

ولم يدر فترون إلا ييسرى شطا تنزعه من جواده، وسيف
يمر على رقبتة، فأرداه شاة ذبيحة. سرعان ما أفضت
المعركة لنصر مؤزر، وككل المعارك لا بد أن يسقط الشهداء،
ولكن أبرزهم هذه المرة كان فتى مصرياً.

مصري واسمه شطا.. شطا بن الهاموك.

تململ من بين رجاله يبغى الخلاص.

- أو تسلموني بأيديكم إلى جند العرب؟!

قالها الأرطبون محتجًا.

أجابه أحد الرجال هازئًا:

- إنما حماقتك ما ألقانا الهلكة!

اتسعت عيننا الأرطبون، وكأنما لم يعِ الكلمات، أو يستنكف أن يعيها.

ها هي حماقته أسلمت مصر إلى جند العرب.. أو ليقلها صراحة لعمر بن العاص من أذاقه الويلات!

أوقد فررت منك في أرض فلسطين لتتبعني ها هنا؟!

ثم ها هو الأرطبون مؤجج الفتن ومشعل النار كسيرًا ذليلاً، يسلم كبند في الاتفاق لتسليم المدينة!

كان يعلم أن القبط لن يكونوا مع الروم بحال.. لكنه لم يتصور أبدًا أن يميلوا لجند العرب كل الميل.. ولم يكن ليتخيل أن عمرو ليستولى على حصن بابليون وينتزع منه هكذا، بل والأدهى ينتزع هو نفسه -ويا للأقدار!- بيد رجاله الذين أرادوا الخلاص فوجدوه لدى عمرو.

رأى عمرو من بعيد وقد ارتسم على ملامحه زهو المنتصر، وأحاطه رجاله بفخر الفاتحين، وقد تناهى إلى مسامعه صوت أحد رجاله يقول بصبر نافذ:

- ها هو الأرطبون نسلمه إليكم، وأرانا قد فعلنا ما

اشترطته يا قائد العرب!

- كلا لا يكون.

تململ الأرطبون مزمجراً، ثم تابع ثائراً:

- لن يتسلمني هذا الرجل أبداً.

قال عمرو وابتسامة عذبة لم تغادر محياه:

- هل أبصرت عاقبة الغدر يا أرطبون؟

- انتصرت عليّ يا عمرو!

استغل ما بدا من رجاله من تراخ، فانتزع خنجره الذي
غرسه في فؤاده، وهو يقول بصوت وأهن:

- لن تتسلمني يا عمرو أبداً.. بيدي.. لا بيد عمرو.

ثم سقط مضجراً بدمه هناك.. عند حصن بابليون.

- هون عليك يا أمير المؤمنين شد ما بلغ بك الجهد.

قالتها عاتكة وهي تجيل بصرها في وجهه، إذ علاه السواد
إثر ما نزل بالمسلمين هذا العام.

أطرق صامتاً، فتابعت:

- ما تبرح تتعب نفسك ليلاً ونهاراً.. بل وقد بلغ بك أن

تمضي إلى مطبخ المسلمين حتى تنظر كيف نصنع وتتفقد بنفسك.

صمتت لبرهة تستنطقه، ثم تابعت:

- أولاً يكفيك أني وأم المؤمنين حفصة وأم كلثوم هناك تتولى هذا عنك؟

استمر في صمت ثقيل على نفسها، فقالت برقة:

- والله يا ابن العم إني راضية بما عزمت عليه من أن أرتحل إلى دار أم كلثوم، حتى تُفرغ الدار للقادمين من قبائل العرب.

نظرت إلى عينيه تراقب رد فعله وتابعت بعزم:

- والله لولا قرابتها من رسول الله، ما أجزت لك ذلك، ولولا ضيق الدار وأنت ستسكن المسجد ما كنت ضقت بالأمر من قبل.

- شد ما أنت صابرة محتسبة يا ابنة العم.. يا ريحانة القلب.

قالها بهدوء ورقة، فأشرق وجه عاتكة إثر سماعها لصوته، وكادت تياس من استنطاقه، فقالت:

- يا أمير المؤمنين قد جاء أبو عبيدة بابل من الشام، وجاء معاوية بابل من قيسارية، وكل محمّل بالخير، فقد رفع ذلك عن المسلمين بعض البلاء، فهلا أرحت نفسك؟

- والله إني لأخشى أن يسأئلي الله عما ألمّ بالمسلمين غداً،

فقد مات في هذا الأمر خلق كثير.

- وها قد جمعت إليك القبائل، وكنت لهم ردةً.. ثم خفف
الله عنك فقل الموت.. فاستبشر بفرج من الله قريب.
تفرّس ملامحها ثم قال بإشفاق:

- والله لقد خشيت على نفسي يا عاتك.

- هون عليك يا عمر.. أما يكفيك أنك حرمت السمن
واللحم على أهلك ونفسك؟! أفلا ترى كيف تغير وجهك
من الجهد؟!

تململ عمر قبل أن يقول بجذبا على وجهه، إذا طاف
بذهنه خاطر ما غاب:

- لقد تأخر ابن العاص في شأن الفتح.

ثم أطرق مفكراً.. وكأنما انفصل عن نفسه، فقد كان يفكر
بعمق.

انسابت موجات البحر مزهوّة فخورة، على رمال الشاطئ.

ثم سرعان ما انزلقت لتعود أدراجها، تهيم فخراً على
مثيلاتها بما نالت، ولقد بدأت منافسة محمومة بين قطرات
المياه أيها يلحق بالموجة التالية.. في وقت تلامست فيه ذرات

النسيم تعطر الجو بعبق ساحر فريد.

الإسكندرية هي.

درة البلدان وإشراقة الدنيا.. تطالعها شمسًا -كل صباح-
تزهو بما اطلعت عليه من إبداع الله في خلقه.. ويرسل إليها
القمر أشعته الفضية تباشر سحر الكون في حياء وغبطة.

وقدور راسيات تحمل ما جادت به الأرض من خير.

وبشرى ترتسم على وجوههم أعذب الابتسامات، تفيض
بالأمل وتبشر بالغد.

- حتمًا ستكون فرحة أمير المؤمنين كبيرة ببشرى الفتح..
خصوصًا بعدما استغلق واستطال.

قالها عبد الله بن عمرو بفرح حقيقي، فانتبه إليه عمرو
بن العاص، قائلاً بلوم:

- إنما يعنك فرح أمير المؤمنين دون ما لاقاه أبوك.

- هو في سبيل الله يا أبت.

- هو في سبيل الله إن شاء الله.. ولكن قد رأيت كيف
استبطن أمير المؤمنين الفتح حتى راجعني فيه ثلاثًا، وحتى
قال إنه بما أحدثتم.

- ولكن قد استبطنًا حقًا يا أبت.

بدا الضيق على محيا عمرو، فقال:

- ويحك يا ابن ربيعة! إنك لتقول قوله وهو غائب وأنت

حاضر.. بريك هل رأى المسلمون من قبل مثل هذه المدينة
بحصونها ومناعتها؟ والله لولا القبط وما أعانونا عليه من
أمر الروم لبقى الروم فيها أبداً.

- نعم، وحسن رأيك، إذ استملت كبير القبط بنيامين
إلى الصلح، فما إن سمع القبط بذلك حتى قالوا نحن مع
بنيامين، ثم لم يجد الروم على ذلك سبيلاً.

- بلى، وما رأى عمر أن أقيم على المدينة حامية من
جندك، ثم انتشروا فافتحوا باقي القطر.. فما أفلح تحصنهم
ومددهم وقد أحيط بهم من حولهم.

- وكأنه بيننا يا أبت يشهد ما نشهد ويلاقي ما نلاقي.

- نعم الرجل عمر! ستكون فرحته كبيرة بما يصل إليه من
بشرى.

أدرك أنه انتهى إلى حيث ابتدأ ابنه، فالتفت إليه وقد تبادلوا
ابتسامة عذبة.. ومن القلب.

ولقد مضى الطيف المقدس.. ولقد أضاء لنا الظلام.

يا أيها الفتى المبجل.. يا من أذل اليوم قيصر.. يا أيها
الشعب بدد الظلمات، نادى بأن يا نصر الله أقبل.. يا
فاسق الرومان ارحل.. أذن بروما بأن مصر اليوم صارت من

بلاد الله ما عادت لتُقهَر.

أذن بروما بأن تلك الأرض قد صارت جحيماً ليس يرحم.

ولقد تهاوى اليوم بابليون، وقد دوى الأذان بأرض مصر
بأن الله أكبر.. وطف بالإسكندرية، فلقد تلاقى اليوم حواريو
المسيح وأصحاب محمد، وبأرض آمون تلاقت أصوات الأذان
وأجراس الكنائس في صوت مقدس، واليوم نادى بأرض مصر
أن يا عدو الله ارحل.

obeikandi.com

أطل الليل كئيِّبًا على دمشق.. فسيف الله على فراشه
يقاسي المرض.. وقد اعتلى فرسه النعمان بن مقرن يصول
هناك في نهاوند.

زحف الألم إلى وجه خالد، وإن كان ألم روحه أقسى وأمرّ،
إذ فاته فتح الفتوح.

- أفحين أذن لي أمير المؤمنين بالالتحاق بالجيش ألمّ بي
المرض؟!

- لا عليك يا خالد.. سيبدلك الله خيرًا من نهاوند.

- ما بعد نهاوند من فتح خير منها.

أشرق في روحه الأمل، فتابع:

- أتّى ذلك وقد أبى أمير المؤمنين أن يقول سرّ يا أبا سليمان،
فافتح الدنيا.

نظر إلى عينيها بفرح طفولي وتابع بحماس:

- ويسير خالد بجيش المسلمين فيفتح بقاع الأرض.. فينقض
على القسطنطينية، ومن بعدها على الترك والصين.

أشرب عنقه وكأنما يراقب ما حققه الجيش في نهاوند وما

لاح من نصر!

قبل أن يلمح دموعًا مارقَات من عين أم حكيم، فقال:

- من لي بنهاوند وقد سبقني إليها الفرس!

عاوده الشعور بالألم، وإن تبدّى أمامه وجه ثابت يوم مؤتة، إذ مد إليه الراية: هلم يا خالد خذ الراية.. والله ما تناولتها إلا لك.

ولقد تردد خالد وقتها، حتى علا صوت ثابت في الأفق:

- أترضون بإمرة خالد؟

”أخذ الراية سيف من سيوف الله»، هكذا قال رسول الله!

- رحم الله أبا بكر؛ كان أعلم بالرجال مني!

لقد آلمه أن تخلف خالد عن نهاوند إثر مرضه، أفحين يرضى عنه ويصير ما بينهما حبًا خالصًا يمنع المرض؟ تذكر كلمات خالد أنه يعني بالحب النساء، فارتسمت الابتسامة على وجهه قسرًا.

- الله يعلم ما عزلت خالد عن غدر ولا خيانة، ولكن ألا يفتتن الناس به، فيقول الولاة فعل ذلك بخالد فما يمنعنا!

نعم الرجل خالد!

رحم الله أبا بكر!

ابتسامة أخرى وجدت طريقها إلى محيا الفاروق، ولكن
هذه المرة إثر تذكره كلمات الصديق:

- لأذهبن وساوس الروم بخالد!

فلقد أذهب الله وساوس الروم، حتى بات هرقل لا يأمن
على نفسه بالقسطنطينية!

دموعٌ، أم نواحٌ، أم بواكِ في دجى الليل القريب؟! ليس
يعنيه الصياح.

سوف يرحل عن قريب عن بلاد الشام، عن مكة، حيث
جال هناك طفلاً، عن المدينة يوم رحل إليها مسلماً، يوم
تلقتَه هناك ابتسامة عمر!

- أخبروا أمير المؤمنين أن وصيتي إليه، أن داري بالمدينة
صدقة.

تناهى إلى مسامعه بكاء مكتوم، وقد جال ببصره فيمن
حوله وكأنما آخر العهد ثم تابع:

- فليس لي في هذه الدنيا سوى عمر! آه ثم آه يا عمر، ذاك

نسيج وحده قد أجبرني حبه.

ثم ارتسمت على محياه ابتسامة حزينة:

- حتى إن كان يعني بالحب النساء، فإنني أحب عمر.

لم يدر أفارقت الكلمات شفاه، أم أنها استقرت في روحه
فطاب لها المقام!

علا صوته إذ تذكر نهاوند، وإذ استبشر منه النصر، وقد
بدا أن الرحيل حان:

- والله لقد شهدت كذا وكذا زحفاً، وما في جسدي موضع
إلا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، ثم ها
أنا ذا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت البعير.. فلا
نامت أعين الجبناء!

ولكن يبدو أن أعين الجبناء ليس لها أن تنام، وأنه قدّر
لعين خالد أن تقرر أخيراً!

- يا أمير المؤمنين عزاؤك في خالد أنه قد جاء نعيه من
حمص!

من قالها؟ أوقد قالها؟ أواقع هو أم سراب؟

تراه رحل؟

أفحَقًا رَحَلَ الطَّيْفَ النَّقِيَّ؟!

رَحَلَ سَيْفُ أَمْضَاهُ اللَّهُ فِي جِيوشِ عَدُوهِ!

فِي رَكَابِ الْجَنَّةِ أَنْتِ يَا أَبَا سَلِيمَانَ.. مَحْمُولَةً إِلَى الْفَرْدُوسِ
حَيْثُ غَنِيمَةُ الْمَعَارِكِ!

وَجَدْتَ الدَّمْعَ طَرِيقَهَا إِلَى وَجْنَتِي الْفَارُوقِ وَقَدْ ارْتَسَمَ عَلَى
مَحْيَاهِ أَقْسَى آيَاتِ الْأَلَمِ، فِي حِينَ انْطَلَقَ لِسَانُهُ:

- لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، رَحِمَ اللَّهُ أَبَا سَلِيمَانَ!

”لَا أَعْرِفُكَ بَعْدَ الْمَوْتِ تَنْدَبُنِي وَفِي حَيَاتِي مَا زَوَّدْتَنِي زَادِي!“.

أَوْقَدْ قِيلَتْ؟

أَفْصَدَقًا حَدَّثَ الْخُطْبُ؟ إِلَى جَوَارِ رَسُولِ اللَّهِ يَا سَيْفَ اللَّهِ!

فِي أَرْضٍ خَضَّبَتْهَا دِمَاءُ الشَّهْدَاءِ مِثْوَاكُ، وَفِي تَرَابِ أَرْضِ
تُوَارَى.. أَرْضٍ فَتَحَتْهَا أَنْتِ!

”أَنْتِ خَيْرُ مَنْ أَلْفَ مِنْ الْقَوْمِ إِذَا حَاكَيْتَ وَجْوهَ
الرِّجَالِ.. أَشْجَاعُ؟ فَأَنْتِ أَشْجَعُ مِنْ لَيْثِ غَضَنْفَرٍ يَذُودُ
عَنْ أَشْبَالِ.. أَجْوَادُ؟ فَأَنْتِ أَجْوَدُ مِنْ سَيْلِ غَامِرٍ يَسِيلُ بَيْنَ
الْجِبَالِ!“،

انْسَابَتْ إِلَى مَسَامِعِ عَمْرِ، فِي حِينَ تَمَثَّلَ وَجْدَانُهُ خَالِدًا.. لَا
يَعْنِيهِ حَقًّا مَنْ قَالَهَا وَإِنْ انْطَلَقَ لِسَانُهُ:

- صَدَقَ، ذَاكَ أَبَا سَلِيمَانَ مَا نَقَصَ عَنْ ذَلِكَ!

- يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَلَا أَرْسَلْتَ مَنْ يَزْجُرُ نِسَاءَ آلِ مَخْزُومٍ؟!

فقد علا صوتهن بالنواح!

نظر عمر بوجل إلى القائل.. ثم أرسل بصره في السماء،
وقال بألم استقر في الروح:

- دعهن، ما على نساء الوليد أن يبكين، على مثل أبا
سليمان فلتبكِ البواكي!

استطال عنقه فخراً حين علم بالأمر.

لقد اختاره الملك ليحمل رسالته إلى حاضرة الدنيا وعاصمة
المسلمين، ويا له من فخر، أي فخر!

سيطاً بقدميه هاتين بلاط خليفة المسلمين، ذاك الذي
تترنم بعدله الدنيا وتنشد باسمه الأناشيد.

ربما اعتراه بعض من خيبة الأمل حينما وطأ المدينة،
ولكن عجبه كان أشد!

من هذه البيوت الفقيرة خرجت جيوش دوّخت كسرى
وقيصر!

هذه هي التربة التي أنبتت خير جند الأرض وخير من
ساس الأمم.

قلب بصره علّه يجد قصراً، قطعاً سيقطنه الخليفة.. أعياءه

الخطب وأعيتة الأعين المتسائلة بنهم عن ماهية هذا
الأعجمي هنا بأرض العرب!

صحبته هذا الرجل وخاض به طرق المدينة، ولم تفارقه
الدهشة، ولم يرحل عنه العجب.

بل زاد ما إن أشار إلى ذاك مرقع الثوب النائم، لا يعنيه
الكون هناك في الظل..

- "هذا هو أمير المؤمنين عمر".

هل انسابت تلك الكلمات إلى أذنيه حقًا؟ هل نطقها
الرجل؟

اقترب واقترب، وقد أدرك مقدار جهله.

من كان يظن عمر؟ كسرى في ملكه أم قيصر على عرشه!

إنه عمر! أسطورة بلاد الشرق!

اقترب منه بخشوع وقد وطأ بقدميه البلاط، في حين رد
لسانه كلمات صارت مثلاً "عدلت فأمنت فنمت يا عمر".

ولقد آمن عمر.. وأمن المسلمون.

قد فاض الدمع مدرارًا فما بخل.. وهل الدمع إلا يسيرًا
أمام جل الخطب وفداحة الحادث؟!

- ألا قد آن أن تستريح يا أمين الأمة وتتعبنا من بعدك؟!

جرح غائر تركه الرحيل.. وأشجان الفراق عسيرة لدى
المتحابين.. فكيف بمن تحابا في الله فاجتمعا عليه وتفرقا
عليه؟!

- كيف بي إن أتاني الأجل وقد كنت آمل أن أقول تركت أمة
محمد لأمين أمة محمد، وما عليّ إلا قد أثقلت حملي في
الدنيا وفي الآخرة، إلا أن يشاء الله؟ مصابنا فيك كبير.. جد
كبير.

ثم طاف بالذهن بعض من آخر عهده به، فعاد الدمع
يشق طريقه إلى وجنتيه وما كاد يجف! ربما وقع في نفس
عمر يومها أن هذا آخر العهد، وإن أبي مليًا أن يقر بذلك..
كيف بأذنيه لا تستمع بعد اليوم إلى كلماته الرصينة التي لا
تبتغي سوى وجه الله سبيلًا؟! كيف بعينه لا تقر برجل تمنى
عمر قبلاً بيتًا مملوءًا برجال مثله، يستعين بهم على حوائج
المسلمين؟ فما كان له منه مثيل.. إن هو إلا رجل وحيد
فريد.

- غيّرتنا الدنيا دونك يا أبا عبيدة!

ولكن أنى لدنيا أن تغير قمر الجبال؟!

- أ قلني يا أمير المؤمنين.

بدأ الرجل على محيا حذيفة بن اليمان، وكأنما خشي شيئًا.

قال عمر بلهفة:

- أنشدتك الله يا صاحب سر رسول الله، ألا أخبرتني؟ هل ذكرني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في المنافقين؟

- ما كان لي أن أفشي سر رسول الله يا عمر.. أنت أدرى بذلك مني!

- بربك ألا أخبرتني؟ ما أريد أن تفشي سرًا أمرك رسول الله بكتمانه.. إن هو إلا أن تجيبي إلى طلبي.. إني خشيت على نفسي ما وليت من أمركم.

بدأ الإشفاق على وجه حذيفة، فقال وقد رق صوته واختنق صوته بالعبرات:

- أو مثلك يكون في المنافقين يا أبا حفص، وقد كان إسلامك عرًا، وهجرتك نصرًا، وخلافتك فتحًا؟ أولا يكفيك أن رسول الله قد مات وهو عنك راضٍ.

اهتز وجدان عمر إثر هذه الكلمة، وقد طاف بذهنه يوم أن سار مع النبي جنبًا إلى جنب، وإذا بالنبي قد أخذ بيده فهزّه الشوق، فقال:

- والله يا رسول الله لأنت أحب إليّ من ولدي ومالي والناس أجمعين.

ثم خشي أن يكذب رسول الله فاستدرك:

- إلا من نفسي.

حينها طالعه وجه النبي بابتسامة عذبة لامست فؤاده، إذ قال:

- لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك.

وضاقت نفس عمر إذ شعر بأنه لولا رسول الله لكان نسيًا منسيًا، وما هداه الله إلى ما صار إليه.. الله الله يا عمير؟ أبلغير رسول الله أفكان هداك الله! فنطق لسانه بما جال بقلبه: فإنه الآن، والله لأنت أحب إليّ من نفسي.

إشراقة وجه النبي يومها ما كان لعمر أن ينساها ما امتدت به حياة، إذ قال بصوت ما زال يتردد في ذهن عمر:

- الآن يا عمر!

انتبه عمر إلى وجه حذيفة وقد علتة ابتسامة مماثلة تُذكره بسر رسول الله في المنافقين، الذي استودعه لحذيفة دون سواه.

- والله يا صاحب سر رسول الله، إني خشيت من أمركم هذا على نفسي.

بودّ وإشفاق قال حذيفة، وقد تفرّس قسّمات عمر:

- والله لقد أتعبت الخلفاء من بعدك يا أمير المؤمنين.

- أخبرني عن الفتنة يا حذيفة.. فتنا كالليل البهيم.

تغيّر وجه عمر إثر ما ذكر.

-فما شأنك بها يا أمير المؤمنين؟! فوالله لا تصيب
المسلمين وأنت حي وإن بينها وبينهم باب مغلق

- أفيكسر الباب أم يفتح؟

خشي عمر حقًا من جوابه وأشفق منه وتغير وجهه، إذ
قال حذيفة بأسى:

- بل يكسر يا أمير المؤمنين.

وهنا قال عمر بالمرحى بحدى مع كل حرف من أحرف
كلماته:

- ذلك أدعى ألا يغلق أبدًا حتى قيام الساعة.

ثم ردد بصوت خفيض لم يكدر يصل إلى مسمع حذيفة:

- اللهم كبرت سني وضعفت قوتي وانتشرت ريعتي،
فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفرط.

ثم تبادل مع حذيفة نظرات أدرك كلاهما معناها، ولقد
كان أليماً.. أليماً.

تراقصت حركات أياديهم القلقة ظلالاً شيطانية إثر لهيب
مصباح وحيد توسط المكان.

ارتسمت الرهبة في أعين تلونت بلون اللهب، وكأنما تشي

عن أعماق يشتعل فيها الجحيم ذاته.

تبادلوا شكًا مقيئًا وكأنما يحمله جميعهم في نفس بين
جنبيه.

ودارت الأعين وتقلبت الأبصار، وإن أبي أحدهم أن يعترف
بذلك.

كان الصمت عصيًا منيعًا، وقد كسره كعب إذ قال بصوت
جاف خالٍ من أي شعور:

- أرى أن تُطفئوا المصباح لئلا يطرق بابنا عمر.

لمح نذير غامض ارتسم على محيا فيروز للحظات،
فارتعدت فرائصه، إلا أنه مد يده ليطفئ المصباح وتغوص
الغرفة في ظلمات بعضها فوق بعض.

لنعترف بأن نظرة فيروز كانت مرعبة بحق، إلا أن شعورًا
مقيئًا نما في أعماقه إثر أن أظلمت الغرفة، وكأنما ذكره إخماد
النار بنار أخرى شهدها تخمد من قبل، وتكرر إخمادها آلاف
المرات في أشنع كوابيسه وأقساها.

ها هو فيروز اليوم في المدينة.

من الأهواز أسر.

ولأيادي العرب انتقل.

ومولى المغيرة أضحى.

يتفرس وجوه العرب وكأنما يتفرس وجه عدو قديم لا
يدرك حقًا لم عاداه.

وتتسلل إلى وجدانه همسات بوران في ظلال النار المقدسة،
وكأنما تشتعل تلك النار من جديد، ولكن في أعماقه هذه
المرة.

بل لنكن أكثر تحديدًا ولنقل في فؤاده.

قاسية هي الحياة في المدينة.. حياة فارسي لم ينس أبدًا
أن من هؤلاء من قتل أباه.

بغى قومه ما بغوا.. أو عدل العرب ما عدلوا.

هذا لن ينفى أبدًا أن هؤلاء الأعراب قد جاروا على ملك
قد كان يومًا ملكًا عظيمًا.

وأنى يكن لعدل عمر وجه لدى فارسي قُتل أبوه، حتى إن
كان أبوه نفسه لم يمنحه اسمه!

وأنى يكن لعدل عمر وجه وقد رأى دموع أم -لم تمنحه أبًا
شرعيًا- تسيل لملك قد انطوت صفحته؟!

تسللت همهماتهم القلقة إلى أذنيه.. هذا الهرمزان يقص
عن خبر عمر اليوم، ولم لا وهو صفيه الذي اختاره.. هذا
الهرمزان وغد في الحقيقة.. أتى له أن ينكر أن هذا الدين قد
استقر في قلبه.. أحقق هو كذلك.. تراه ينسى، أم يتناسى
مجده بالأمس؟ إن كان فيروز من نسل الأكاسرة، فعلى الأقل
هذا الوغد قد كان أميرًا وقائدًا.. هل نسي كم أراق من دماء
المسلمين في تستر؟ هل نسي ذله إذ جاء مكبلاً إلى عمر؟

الأحقق غرّه أن عفا عنه عمر وقربه!

ولقد كان بمقدوره أن ينفذ ما يجتمعون له منذ زمن.. إذ
ربما أنقذوا حينها الكثير من ملك فارس.. آه ثم آه على ملك
فارس! أكل كبدي عمر.. ضاق صدره أكثر فهتف بضيق: أما
عاد لنا من حديث إلا ماذا فعل عمر وكيف عدل وكيف
ساس.. كيف زوج ابنه لبنت بائعة لبن؟ وكيف جلد ابن
واليه على مصر؟ عمر، ثم عمر، ثم عمر.. تترنمون بمجده
كما يفعل أجلاف العرب!

انتبه بغتة لوجود جفينة وكعب، فحاول تدارك الأمر، إلا
أن صوت الهرمزان كان عنيفًا:

- أما تكف أنت عن رعونتك يا فتى الفرس؟! فكيف كان
حالك لو كان أبوك انتصر بالقادسية إذن؟! قالها ساخرًا.

ثارت ثائرة فيروز فانفجر قائلاً:

- على الأقل ثبت وواجه عدوه ولم يفر من ساحة القتال
كما فعل الأمير المظفر.

تدارك جفينة الموقف:

- ويلكم! كيف بنا إن طرقتنا عمر الليلة؟! فلنعد لأمر
اجتماعنا وكفى قولكم الذي لا يضر ولا ينفع.

ابتلع الهرمزان كلمته وصمت.. إلا أن في ذهنه دارت آلاف
التساؤلات.

ها قد خبت النار وذلل المجد.

حقًا يشعر بالبشر كلما رأى عمر.

يشعر بالفخر كلما أحس بأنه ينتمى إلى هذا الدين الحنيف.

حينما ينساب صوت الأذان بخشوع إلى أذنيه.

ولكن يستسلم أخيراً لسياط مؤلمة قاسية إذا تذكر ملكاً غابراً داسته خيول العرب، وشمساً باهرة قد أفلت منذ زمن.

ليعترف!

شد ما يعجب لسلمان!

ترى كيف رحل هذا الفارسي عن بلاد النار المقدسة ورضي المقام في أرض البداوة.

كيف طابت نفسه وقرت وهو يرى ملك أمته يزول على يد هؤلاء الأعراب دون حتى إن تدمع عيناه، بل والأدهى أن يرتحل معهم من نصر إلى نصر ويرى بعينه انهزام قومه، فلا يهتز له جفن.

ولكنه -هو نفسه- يعلم أي ريح عاصفة يحملها هذا الدين.. أي قوة كاسحة يوجد لها إذا ما خالطت بشاشته القلوب، إذا ما استقر في الوجدان فتراه يعيد تكوين الإنسان من جديد، يلتمس مثل هذه النفحات.

يهتز وجدانه طرباً وتلين جوارحه إذا ما قال له عمر:

- إني والله أحبك يا هرمزان، فأنت أخي في الله.

يتأمل قليلاً.. يستدرك فيتدارك! ليدرك أنه حقاً يحب عمر!

ولكن هيهات.. أبداً ليس مثلما يحبه سلمان.

فلقد تجرّد هذا الأخير من كل غرض، وما عادت تطوف
بذهنه أوهام مجد زائل!

ما عاد يأمل في رؤية أبيه الدهقان يسوس الرعية ويفاخر
بالنار المقدسة، لم يعد يعنيه ما خبت منها وما زال
بزوالها.

النار التي تشتعل في صدر الهرمزان اليوم لهي أشد ضراوة
من النار المقدسة وأشد أثراً، فما عاد بإيمانه قادراً على
أن يعود سيرته الأولى، وأنى له ثم أنى أن يرتضي بدين حمله
أجلاف العرب!

يرى في وجه فيروز ملامح من رستم فيزداد تحيراً.

أوليس بمثل تنافسهم زال ملك فارس.

ولكن أنى لدينه أن يسمح له بمثل هذا الهاجس، أو أن
يفاخر بمجد قام على نار مقدسة لم تغن عنهم من الله
شيئاً؟ أنى ثم أنى؟!

أوليس الله بمتن نوره ولو كره الكافرون.

أنى لهذا النور أن يخالط قلبه ويضيء روحه.. أنى له أن
يخاطب فؤاده ويشرق في قلبه.

ولكن إن كانت تلك حال الفارسي، فما بال عربي ككعب أو
جفينة يجلس مثل هذه الجلسة؟

كعب؟

لم يجتمع مسلمان عربيان في هكذا جلسة، وإن كانا

يتشدقان بمسيحية أو يهودية ويدينان بها حقًا، فإن عمر قد فرض لبني جنسهما من بيت مال المسلمين.

يدرك الهرمزان أنه لن يفهم اليهود أبدًا.. ولكن يلزمه على الأقل أن يفهم ما يدور هنا، فقد فاته أكثره.. يسمع همهمات عن خنجر سيصنعه فيروز.. وعن عمر الذي أذفت نهايته، وعن... وعن...

حتمًا هذه النار التي تحرق فؤادي؟!

أما آن لهذا الحصن أن يهدم؟!

أما آن لهذه الشمس أن تغيب؟!

ولم لا يضيؤون المصباح؟! لم؟!

كان اللقاء سريعًا متعجلًا، فقد انتهى الأمر.

بدا القلق على محيا جفينة، وإن أراد الهرمزان أن يخفف عنه، إلا أن قلقًا مماثلًا قد نشب في صدره.

ربما كان أشدهم بأسًا هو فيروز، ولمثل هذا كان هو من تطوع لهذا الأمر الجلل.

يقلب بعضهم عينيه في وجوه بعض بقلق وحيرة وتساؤل حذر عن الغد!

غد لم تتضح ملامحه وضمن بأي لمحة من لمحاته.

ربما لفت نظرهم انسحاب كعب باكرًا وقد أغبطه جميعهم، فعلى الأقل لا يعاني مما يعانون منه من قلق، إلا أن ما حدث كان غير متوقع بحال.

فقد طالعهم وجه عبد الرحمن بن أبي بكر، وتسلسل إلى فؤادهم المضرر بالحد صوته العذب وتحتيته إياهم، فما كان من فيروز إلا أن تسلسل خنجره وسقط أرضًا.

لحظات عصيبة مرت بالجمع، وقد أدركوا لوهلة أن أمرهم قد كُشف، وقد كادت نظرات فيروز تعترف بما أضمرُوا، إلا أن الموقف قد مرَّ بغتة مثلما جاء وانتهى الأمر.

- ويحك! أما استطعت أن تمسك عليك خنجرك؟ فماذا تفعل غدًا إذا ما لقيت عمر؟!

قالها جفينة، فارتسمت الأنفة على محيا فيروز، وكأنما أبي أن يصدر مثل هذا القول عن عربي، فقال:

- صه.. أفلا نرجع ابن أبي بكر لنخبره بظنونك وشكوكك حتى يطمئن قلبك!

تدارك هرمزان الموقف، فقال:

- حسبكم من هذا الآن، فلننصرف حتى لا يأتينا ما نكره.. ولتكف عن خوفك يا فيروز فأنت تعلم هيبة عمر؟

تأمله فيروز وكأنما نفذ إلى أعماقه وأدرك أنه يريد لأمرهم أن يحبط، إلا أن بقايا من أنفة أمير فارس هي ما تمنعه من

الجهر بذلك.

تبادلوا نظرات حذرة، ثم انصرفوا كل إلى مبتغاه.

صافي الذهن وقد باشر اصطفاى الصف من خلفه، ثم
كبر للصلاة.

لم يكن ليعلم قبلاً أن كلباً عقوراً قد يحدث هكذا ألماً.
تكرر الألم ثانية، ولكن مع الثالثة أدرك يقيناً أن ما هذا إلا
طعنة نافذة قد اخترقت أمعاءه.
وظل ذهنه يبحث بصدق عن كيف يحفظ للمسلمين
صلاتهم، في حين نطق لسانه:

- عقربي الكلب!

خوف.. رهبة.. تردد.. ربما اجتمع كل هذا في نفس فيروز
قبل هذه اللحظة بدقائق، ولكن الآن هيهات.. ربما تخطفته
المشاعر، إلا أنه يدرك أن مشاعره ما عادت له منذ زمن..
ليس من يوم أسره في نهاوند كما يدعي، وإنما منذ أن
تسللت كلمات بوران إلى أذنيه لأول مرة..

عمر عادل.. يعلم هذا يقيناً.. ويعلم كذلك أن مجد
فارس الذي يترنم به ما هو إلا ظلم مقيم لمن وجدوا في
عدل عمر ما افتقدوه لدى جده كسرى، فعمدوا بأيديهم

إلى نار زائفة فأطفأوها.

ربما يعلم أن الخطيئة التي جمعت بين بوران ورستم هي سر تعاسته، ولكن لِم لا يكون عمر كذلك طرقًا خفيًا ولقد قتله الآن، فهل تراه استراح؟

قد قتل العرب أباه، وها هو يعيد الكرة على مليكهم عمر.

هل ترى الفارق كبيرًا بين من قتل وجهًا لوجه في معركة ومن قتل غيلة وغدرًا؟

أدرك لوهلة أنه أدرك مبتغاه، ولكن وقت الهروب قد فات، فقد التف حوله جمع من المسلمين أعمل فيهم خنجره المسموم بحقده الدفين، إلا أن سرعان ما أظلمت الدنيا من حوله، ففقر نفسه بخنجر طعن به عمر.

ويا له من شرف أن يموت بنفس الخنجر الذي قتل ملك العرب!

حياة تنتهي بمثل هذا ويظل ذكره في الآفاق، ويزور الناس مقامًا له في بلاد إيران.. نعم الموتة هي!

ولكن هل يؤمن بهذا حقًا.. أم يصر على أن يخادع نفسه لآخر نفس انساب من جسده.

ألم عنيف ذلك الذي اجتاح جسد عمر.. إلا أن المؤلم حقًا لو كان قاتله مسلمًا عربيًا.

فتنة هي خلفها عمر إن كان قتله على هذا الوجه.

تهاوى جسده الجريح، وقال بصوت حازم وإن بدا خفيصًا:
- صلّ بالمسلمين يا عبد الرحمن بن عوف.. لا تفوتنكم الصلاة!

مضجرًا بدمه يقاسي الألم راقب صلاة المسلمين، وقد
نما لديه شعور مشرق بالسعادة.
عاصمة تحمل النور لبقاع الأرض، ودعاة يحملون للعالم
ما أسره المسلمون يومئذ بدار الأرقم!
- الله الله يا عمر!

ها هو ذاك الأعيسر الذي كان يرعى الغنم لخالته من بني
مخزوم.. هذا الذي كان يقسو عليه الخطاب بصحراء مكة
فيتعبه إذا عمل ويعنفه إذا استراح.. هذا هو الذي فعل
بالمسلمين ما لم يفعله يومئذ مثله.. ها هو عميرًا قد صار
عمر، وها هو عمر قد صار خليفة يسير الجيوش ويخضع
الممالك ويهتز لبلاطه كسرى وقيصر.
أمير قد بلغ ملكه الآفاق.

ربما كان هذا قول أيّا كان في موضعه، إلا أن ما كان بذهن
عمر كان مختلفًا بحق.

- ليت أم عمر لم تلد عمر.
وهنا غاب عن الوعي ولم تغب عنه صورة المسلمين
أبدًا، كما لم تغب عنه يومًا.

وكأنما كان وقع كلمات عبد الرحمن بن أبي بكر أشد من أن يحتمل، إذ قلب عبد الرحمن بن عوف بصره بينه وبين عبد الله بن عمر، قائلاً بحزم:

- إياك أن تخبر أمير المؤمنين بهذا الآن! فقد اشتد به الوجع ولا نعلم لم يفض بمثل هذا القول.

ابتسامة حزينة ارتسمت على وجه عبد الله، فقال:

- أتظن حقاً أن فراسة عمر يفوتها أمر كهذا.

رعب حقيقي تمثّل على وجه بن عوف، فقال:

- وما أدراك يا عبد الله؟

أجاب بصوت اختنق بالعبرات:

- والله لقد رأيت مثلها في وجهه ولا أراه منعه عن ذكره إلا مخافة الفتنة.. غلبته دموع سالت من عينيه، وهو يتابع:

- لله أبي! يدفع الفتنة عن المسلمين ولو جادت بها نفسه.. ثم انتبه، فقال بحزم لعبد الرحمن بن أبي بكر:

- إياك أن تخبر عبيداً بمثل هذا، والله لقد رأيت الشر على وجهه وأخشى أن يُغضب أبي بحماقة من حماقاته.

رنا إليه ابن عوف بحنوّ:

- أراه قد استقر قليلاً بعد أن أتيته من عند أم المؤمنين عائشة.

أوماً عبد الله برأسه علامة الإيجاب وهو يقول:

- بلى، لقد استبشر إذ أذنتُ له أم المؤمنين بأن يُدفن بجوار صاحبيه، إلا أنه أمرني أن أعيد استئذانها قبل دفنه. غلب الحنين عبد الله، فعاد إلى عينيه الدمع من جديد، أطرق ابن عوف حزينًا إلا أنه استدرك:

- هوّن عليك، والله ما استقر أمره إلا بعد أن عهد إلى الستة من أصحاب الشورى بالأمر.

- أولم يقل لك ألا تليها؟

- والله لقد سألته النصح، فقال أما إن سألتني فلا، فأقسمت ألا أتولى أمركم أبدًا.

- شد ما يحاسب نفسه أبي.. شد ما أتعبت من بعدك يا أمير المؤمنين.

ثم انهال دمعته من جديد.

- الله يشهد أنك ما أعطيت الدنيا في ديننا يا رسول الله، ولكن أخطأ عمر.. أخطأ عمر.

طافت بذهنه ذكرى الحديبية.. ثائرًا غاضبًا، إذ قبل النبي بشروط الصلح.. ثم تذكر كيف ناداه النبي، فقرأ عليه آيات الفتح.. انسابت الدموع من عينيه وردد بصوت خفيض:

- ويلي وويل أُمي إن لم يغفر الله لي.

تخطفته الذكرى واعتراه شعور عميق بالألم سرعان
ما استحال إلى رضا، ففرح، ثم عاد الألم يدق روحه من
جديد.. رأى عبد الرحمن بن عوف من بعيد، فقال بحزم:
- هل وعيتم وصيتي يا أصحاب الشورى؟! بريك لا تخالفوا
عنها يا ابن عوف.

أجابه عبد الرحمن بوذ:

- هوّن عليك يا أمير المؤمنين.

- والله ما عدت اليوم للمؤمنين أميرًا.

أطلّ وجه ابن عباس بالبشر قائلاً:

- والله لقد فتح الله بك الفتوح.. ومصر بك الأمصار..
ورفع بك النفاق.. وأفشى بك الرزق.. ولم يختلف على
خلافتك اثنان.

- أبالإمارة تزكونني؟! والله ما أصبحت أخاف على نفسي إلا
إمارتكم تلك!

بصدق قال ابن عباس:

- وبغير الإمارة.. فقد كان إسلامك عزًا.. وهجرتك فتحًا..
وملات الأرض عدلاً.. وقُتلت مظلومًا.

يارهاق بادٍ حاول عمر النهوض، فأعانه عبد الله بن عمر
حتى جلس، فقال:

- أتشهد لي بذلك يا ابن عمر رسول الله؟

أوماً ابن عباس برأسه إيجاباً وهو يقول:

- نعم أشهد.

بدا البشر على محيا الفاروق، ولقد ظهر عليّ بن أبي طالب
قرب الباب وهو يقول بودّ:

- وأنا معه أشهد يا أمير المؤمنين.

أشرق وجه عمر فرحاً وقد استند إلى ظهره وعلاه البشر.

استند عمر إلى فخذ ابنه عبد الله وقد كان واهناً بحق..
بصوت علاه الأكم قال:

- إن أنا قبضت، فاحملوني ميّاً واذهبوا بي إلى عائشة،
وقولوا لها إن عمر يستأذن أن يُدفن إلى جوار رسول الله وأبي
بكر، فإن أذنت فبها، وإلا فردّوني إلى البقيع.

غالب عبد الله بن عمر دموعاً مارقة انسلّت على خده:

- هوّن عليك يا أبي.. فقد وعينا قولك.

- ويلي وويل أُمي إن لم يغفر الله لي.

بدا حزن دفين على محيا عبيد الله، وقد رأى ما يقاسيه
أبوه وإن عجز لسانه عن النطق، فأجال بصره بينهما.

بودّ قال عمر:

- لتبلغ أم المؤمنين حفصة أني راضٍ عنها، وأسأل الله أن أفارق وهي راضية عني.

بدا الإشفاق في لهجة عبد الله:

- آتي لك بها يا أبي؟

- الوقت جد قصير يا بني.. وما بقي مثل ما فات.

ثم تابع وكأنما يغالب نفسه على النطق:

- أشهد الله أني راضٍ عن عاتكة.. نِعَم الزوج ونعم ابنة العم.. اللهم إني راضٍ عن أم كلثوم، إليها أصل إلى رسول الله.

غالب عبد الله دمعته وقال ملهوقًا:

- وأنا يا أبي؟

جال عمر ببصره في ملامح عبد الله وكأنما يتأملها مرته الأخيرة:

- أنت يا عبد الله.. والله إني لأزهو بك في الآباء يا بني.

تأمل وجه عبيد الله، فقال بود:

- وأنت يا عبيد الله أفلا يهملك أن يرضى عنك أبوك؟

أطرق عبيد الله وقد أعياه الجواب، فقال عمر بلهفة:

- أتظن حقًا أني أغضب عليك يا بني؟!

غالب عمر دمعته وتابع:

- أفلا تعلم أباك حقًا؟ والله ما نالكم مني إلا إن أردت أن
تخرجوا منها بخير.. والله لو خرجت منها كفافًا لا أجر ولا
وزر، إني إذن لسعيد.. تأمل اللفظة على وجه ابنه، فقال:
- والله إني راضٍ عنك يا عبيد الله.

لم يستطع عبيد الله أن يغالب دموعه، فتأمل أباه مليًا،
ثم انسحب صامتًا.

أراد عمر أن يستطلع نظرة أخرى إلى عبد الله، وهو يساله:
- هل غربت الشمس؟

- كلا يا أبت لم تغب بعد.

- فضع خدي بالأرض.

- وهل فخذى والأرض إلا سواء؟

- ضع خدي بالأرض.

- يا أبت. (تململ عبد الله).

- ضع خدي في الأرض لا أمر لك!

وما إن استقر خدّه على الأرض حتى علتة الشفقة وطاف
بذهنه ما طاف، في حين ردد لسانه بصدق، كما كان أبدًا:

- ويلى وويل أُمي إن لم يغفر الله لي.. ويلى وويل أُمي إن
لم يغفر الله لي.. ويلى وويل أُمي إن لم يغفر الله لي.

ثم غربت الشمس.. فقد كسر الباب.. إلى يوم القيامة.

obeikandi.com

خاتمة

مزدان المسجد النبوي في ذلك الوقت من العام -وفي كل أوقات العام مزدان- تغمره أضواء شتى منبعثة من المكان ذاته، وتشع فيه أجواء روحانية عتيقة، تضيء على النفس راحة.

طال الأمد الذي مكثه مصعب في ذلك الموضع على بعد خطوات من قبر النبي -صلي الله عليه وسلم- وقد زال عن الوجود -أو العدم- فلم يشعر سوى بكفّ خشنة حان يربت على كتفه، التفت إلى الرجل متوسط الطول، يبشرته المُشربة بالحمرة، وبصلعة رأس أضفت على شكله ملمحًا مميّزًا.

اخترقته نظرات عينيه الواسعتين شديدي السواد، وقد تبدى له لوهلة أن منكبيه العريضين قد احتويا الموقف والمكان، بل قل الزمان.

حسن وجهه غير لافت، تسلل عبر الآباد صوته الدافئ العميق.

- لم الانتظار؟

وكأنما أمدّه الحدث بحكمة السنين، فانطلق لسانه.

- انتظر الراقد تحت تراب المجد، المسجي بشمول الفخر.

بهدهوء وورصانة نطقها: لكن من ذهب لا يعود.

- الخطب عسير، والواقع علقم، والحدث اشتد.

تملكته عظمة المسجي عمر، فتابع:

- لن أمضي دونه!

ربت محادثه على كتفه من جديد، وبابتسامة واهنة قال:

- لكل عصر رجال، ليس الأمر عبثًا، وليس زمانك له!

- هنا مرقد النور وغروب الشمس. (غالب دمة مارقة).

- على بُعد خطوات أشرف الخلق، (بخشوع تابع): الكون

يمضي فلا ينتظر أحدًا، وصراع الظلمة والنور سمردي أبدًا،

يتكرر مع كل صباح ومساء ولا ريب، تلك حكمة الوجود

وذاك شعار الكون.

- لسانك يقطر حكمة ويشع جلالًا.

بيأس ووهن قالها قبل أن يبرق أمل:

- لِمَ لا تأتِ أنت؟

اتسع الحدث فجأة لغلام لاهث:

- سيدي عليّ، مولاي عبد الرحمن بن عوف يخبرك بأنهم

في انتظارك لبدء البت في أمر الشورى.

تابع عليّ بجد واضح:

- في كل زمان ثغر ليس له إلا رجاله، لِمَ لا تمض أنت؟

- أنا؟! (بدهشة بالغة نطقها).

أوماً عليّ برأسه إيجاباً:

- نعم، استدعاء الراقد لا يجدي، فلتنشئ مجدك ولترتق سلمك، ولتوقد شمعة ولتنتظر الفجر، فغداً سيضيء النور، ينبلج صبح، وستشرق شمس.

بدأ كطيف ينسحب، ينسلّ عبر الزمان والمكان، اخترق الزحام فألف وجوهاً معتادة، قلب بصره حتى لمح صديقه الذي قدم معه، فأشار له إشارة مفهومة تعني الانصراف. بعدها بدقائق كانا معاً، خارج المسجد، يسيران متشابكي الأيدي وصديقه لا يفهم شيئاً.

- إلى أين؟ (تساؤل حائر صادق).

- إلى حيث يضيء النور، إلى ذات كل فينا، فلنوقد شمعة ولنتنظر الفجر، فغداً يشرق النور.. ويضيء الفجر.

تمت بحمد الله

بتكتب رواية أو قصص أو مقال ..
بالفصحى، بالعامية أو حتى بالإنجليزية ..
بتحب تكتب ، أو تعرف حد بيحب يكتب ، كلمنا ..
هنعمل كل اللى نقدر عليه عشان نساعدك تحقق حلمك
وتكون كاتب معروف ..
لأن في كيان ، للإبداع مكان ..

اتصل بينا على :

محمول: 01005248794 - 01001872290 - 01000405450

أرضي: 0235688678

www.kayanpublishing.com

وابعتلنا على :

info@kayanpublishing.com

kayanpub@gmail.com

وتابعنا :



[kayanpublishing](https://www.facebook.com/kayanpublishing)



[kayan.publish](https://twitter.com/kayan.publish)



[kayanpublishing](https://www.pinterest.com/kayanpublishing)



[kayan_publishing](https://www.instagram.com/kayan_publishing)